--------------------------- الغلاف 1 ---------------------------

سلسلة القبائل العربية في العراق ( 8 )

قبيلة تغلب

بقلم :

علي الكَوْراني العاملي وعبد الهادي الربيعي

--------------------------- 1 ---------------------------

سلسلة القبائل العربية في العراق ( 8 )

قبيلة تغلب

بقلم

علي الكَوْراني العاملي وعبد الهادي الربيعي

الطبعة الأولى 1431 ه - 2010 م

--------------------------- 2 ---------------------------

.

--------------------------- 3 ---------------------------

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد ، وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد ، فهذا الجزء من سلسلة : « القبائل العربية في العراق » خاص بقبيلة تغلب بن وائل ، وهو أخ بكر وعنز ابني وائل ، وتغلب إحدى قبائل ربيعة بن نزار العدنانية .

وقد عقدنا الفصل الأول لبيان نسبها وأهم بطونها ، لأنه لا يتسع المجال لاستقرائها كلها .

وجعلنا الفصل الثاني لأهم حروبها في الجاهلية ، ومنها حرب البسوس التي كانت مع أبناء عمهم بكر بن وائل ، واستمرت نحو أربعين سنة ! كما ذكرنا باختصار حروبها مع قيس في أواخر القرن الأول ، التي كانت بتحريك الخلفاء الأمويين .

وجعلنا الفصل الثالث لسياسة النبي ( صلى الله عليه وآله ) مع تغلب وغسان ، وغيرهما من القبائل العربية ، في جذبهم إلى الإسلام وإبعادهم

--------------------------- 4 ---------------------------

عن نفوذ الفرس والروم ، وكيف نجحت ، وأخذت تغلب تدخل في الإسلام ، وجاء وفدها إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) وفيهم نصارى .

وخصصنا الفصل الرابع لتاريخ بني تغلب بعد النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، ونفينا عنهم تهمة خالد بن الوليد والخلافة القرشية بأنهم ارتدوا ، وذكرنا أن خالد ارتكب معهم ما ارتكبه مع الصحابي مالك بن نويرة التميمي زعيم بني يربوع ، وأن عمر بن الخطاب طالب أبا بكر بالقود منه ! وهو أمر يحتاج إلى بحث مستوعب .

وذكرنا أن تغلباً أسلموا وكان منهم صحابة أخيار ، وأنهم شاركوا بفعالية في فتح العراق ، وكانوا مع علي ( عليه السلام ) في حروبه ، واستشهد منهم أربعة مع الحسين ( عليه السلام ) .

أما الفصل الخامس فخصصناه بدولة بني حمدان مفخرة بني تغلب ، التي شملت الموصل وحلب وأكثر سورية ، وكانت درعاً لحماية حدود بلاد الإسلام ، وسداً في وجه غزو الروم .

ثم تعرضنا في الفصل الأخير لأشهر أعلام بني تغلب ، وهم كثيرون ، فاخترنا أبرزهم وأهمهم . وما توفيقنا إلا بالله .

علي الكوراني العاملي وعبد الهادي الربيعي

19 / محرم / 1431 ه‍

--------------------------- 5 ---------------------------

الفصل الأول : نسب القبيلة وأهم بطونها

1 - تغلب أخ بكر بن وائل وعنز بن وائل

ترجع قبيلة تغلب في نسبها إلى : تغلب ( دثار ) بن وائل بن قاسط بن هِنَب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فهي أحد بطون ربيعة بن نزار العدنانية .

وكان لوائل خمسة أولاد : بكر بن وائل ، وعنز بن وائل ، والشُّخيص بن وائل ، والحارث بن وائل ، وتغلب بن وائل ، وأمهم جميعاً هند بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر . وقد صار ثلاثة من أولاده أصولاً لثلاث قبائل كبيرة ، وهم : بكر وعنز وتغلب . أما الشُّخيص والحارث فذريتهما قليلة ، فاندمج بنو الشُّخيص في تغلب ، وبنو الحارث في بني عائش بن مالك . ( جمهرة أنساب العرب : 2 / 302 ) .

--------------------------- 6 ---------------------------

وأولاد تغلب : غنم ، والأوس ، وعمران ، وكانت ذرية عمران قليلة ليس فيهم مشاهير ، وأكثر منهم قليلاً بنو أوس ، وبرز منهم القرثع الشاعر ، وتميم بن جميل الذي خرج على المتوكل العباسي بديار ربيعة .

وكانت كثرة تغلب والعدد في ولده غنم ، وتولت قبيلة تغلب رئاسة بني ربيعة ردحاً من الزمن .

قال اليعقوبي في تاريخه : 1 / 224 : « كانت الحكومة والرئاسة من ربيعة في بني ضبيعة ولد بهثة بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ، ثم تحولت الحكومة والرئاسة في ولد عنزة بن أسد بن ربيعة ، ثم تحولت في عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، ثم سارت عبد القيس حتى نزلت اليمامة بسبب حرب كانت بينهم وبين بني النمر بن قاسط ، وكانت إياد باليمامة ، فأجلوهم ، ثم صارت الرئاسة في النمر بن قاسط ، ثم تحولت من النمر بن قاسط فصارت في بني يشكر بن صعب بن علي بن بكر ، ثم تحولت من يشكر بن صعب ، فصارت في بني تغلب ، ثم صارت في بني شيبان » .

--------------------------- 7 ---------------------------

2 - بطون بني تغلب

ذكرت كتب الأنساب بطوناً كثيرة لبني تغلب ، وأشهرها بنو حمدان ، وهذا عددٌ منها حسب الحروف الأبجدية :

1 - بنو الأوس بن تغلب ، وكانوا كثرة في بلاد الشام ، قال ابن عساكر ( 49 / 304 ) : « إن قرثع التغلبي الشاعر وفد على أحد خلفاء بني أمية فعمد الخليفة الأموي إلى إثارة الفتنة فسأله عن شرف تغلب وكثرتهم فيمن ؟ فقال القرثع : في بني الأوس بن تغلب . فقال : أتقول هذا وكعب بن جعيل حاضر ؟ فقال القرثع : نعم ! وكان كعب من بني غنم بن تغلب ، فلما جاء أخبره الخليفة بقول القرثع فقال كعب مستهزئاً : منْ بنو الأوس وما فيهم ؟ وأنشد :

لعمرك ما السفاح منك ابنُ خالد \* وما أنت من أبناء عمرو بن جيحلِ

وما لك في عمرو وعمران مسكةٌ \* ولا في الكناني الأغرِّ المحجل

وما لك في آل الهذيل دعاوة \* ولا في بني حوط الحظائر فارحل

وما الأوس إلا جَعْرُ خَاٍر بقَرْقَرٍ \* من الأرض يحيى جعرةً غير معجل

فخرت بقوم لم يكن لك فخرهم \* وإنك من أفعالهم لبمعزل

فهاجت بينهما لذلك فتنة .

--------------------------- 8 ---------------------------

2 - البرزي : بطن من تغلب بن وائل ، كانوا سنة 118 ه‍ في قلعة التبوشكان من طخارستان العليا ، فحصرهم جديع الكرماني حتى فتحها ، فقتل مقاتلتهم وقتل بني برزي ، وسبى عامة أهلها من العرب والموالي والذراري ، وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ . ( معجم قبائل العرب : 1 / 75 ) .

3 - ثعلبة بن بكر ، بن حبيب ، منهم الهذيل بن هبيرة بن قبيصة ومنهم عميرة بن الجعل الشاعر . ( جمهرة أنساب العرب : 2 / 307 ) .

4 - ثعلبة بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب ابن وائل . ( معجم قبائل العرب : 1 / 144 ) .

5 - جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . ( جمهرة أنساب العرب : 2 / 304 ) .

6 - بنو جُندب ، بن الحرث بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل . ( اللباب في تهذيب الأنساب : 1 / 294 ) .

7 - بنو حرقة بن ثعلبة بن بكر حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . ( معجم قبائل العرب : 1 / 264 ) .

--------------------------- 9 ---------------------------

8 - بنو حمدان : بطن من بني عدي بن أسامة بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط ، منهم ملوك الموصل والجزيرة أيام العباسيين ( معجم قبائل العرب : 1 / 298 ) .

9 - بنو الديل بن زيد بن غنم بن تغلب ( معجم قبائل العرب : 1 / 400 ) . والنسبة إليه دُؤلي .

10 - بنو زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وينسب إليه كثيرون منهم : عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير ( اللباب : 2 / 83 ) ، أحد أصحاب المعلقات .

11 - بنو سعد بن جشم بن بكر بن حبيب . ( الجمهرة : 2 / 305 ) .

12 - بنو شعبة بن مهلهل أخ كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن بكر بن غنم بن تغلب ، كانوا يسكنون الطائف في القرن الثامن الهجري ( معجم قبائل العرب : 2 / 596 ) وهم اليوم هناك ويحملون نفس الاسم : بنو شعبة . ويبدو أن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني الحلبي ، صاحب كتاب تحف العقول ، من هذا البطن ، وقد توفي سنة 381 ه‍ أي قبل انهيار الدولة الحمدانية التي عرفت برعايتها

--------------------------- 10 ---------------------------

للعلماء ، وينسب إلى حران كما ينسب إلى حلب فيقال : الحراني الحلبي . ( معجم البلدان : 2 / 236 ) .

13 - بنو عتاب ، بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، ينسب إليه كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي ، كان شاعراً من أهل قنسرين مدح الرشيد وغيره . ( اللباب في تهذيب الأنساب : 2 / 319 ) .

14 - بنو عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، ينسب إليه كثيرون منهم أمراء بني حمدان بن حمدون ، ومنهم سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي العدوي . ( المعارف لابن قتيبة : 96 ) .

15 - بنو عطيف بن حارثة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . ( معجم قبائل العرب : 2 / 791 ) .

16 - بنو عمران بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ( معجم قبائل العرب : 2 / 826 ) .

--------------------------- 11 ---------------------------

17 - بنو عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ( معجم قبائل العرب : 2 / 830 ) ، منهم الوليد بن طريف بن عامر الخارجي ، وأخته ليلى القائلة في رثائه :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً \* كأنك لم تجزع على ابن طريف

( جمهرة أنساب العرب : 2 / 307 ) .

18 - بنو عمرو بن غنم ، وفيه عدد تغلب وكثرتهم ، وقد أولد : حبيب ، ومعاوية ، زيد ، وهو أقلهم بقية . ( المصدر السابق : 2 / 304 ) .

19 - بنو عوف ، بن بكر بن حبيب ، منهم كعب بن جعيل ( المصدر السابق : 2 / 306 ) .

20 - بنو كليب بن ربيعة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم ، وبسبب قتل كليب هذا كانت حرب البسوس بين بكر بن وائل وتغلب بن وائل . ( معجم قبائل العرب : 3 / 993 )

21 - بنو كنانة ، بن تيم بن سامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، ينسب إليه حنظلة بن قيس بن هوبر قائد تغلب أيام حربهم مع عمير بن حباب السلمي . ( اللباب : 3 / 113 )

--------------------------- 12 ---------------------------

22 - بنو مالك ، بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، منهم السفاح ، واسمه سلمة بن خليد بن كعب بن زهير بن قسيم بن أسامة بن مالك . ( لب اللباب للسيوطي / 234 )

23 - بنو مالك بن جشم بن بكر بن حبيب ، ومنهم الشاعر القطامي ، ومنهم بنو عمرو بن مالك بن جشم ، والأخطل التغلبي غياث بن غوث بن الصلت . ( جمهرة أنساب العرب : 2 / 305 ) .

24 - بنو معاوية ، بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم ، منهم أعشى تغلب نعمان بن نجوان ، وقيل اسمه ربيعة بن نجوان . ( المصدر السابق : 2 / 307 ) .

--------------------------- 13 ---------------------------

3 - مساكن بني تغلب

كانت قبائل ربيعة بن نزار كلها تقيم في أطراف نجد والحجاز إلى اليمامة ، حتى وقعت حرب البسوس بين بكر وتغلب ابني وائل ، فكان البوار وهجر الديار ، وعلى التحديد بعد يوم قِضَّة حيث كان لبكر على تغلب ، فتبددت تغلب في البلاد ، وانتشرت من اليمامة إلى أطراف سواد العراق ، وارتحلت تغلب والنمر بن قاسط فنزلت بالجزيرة الفراتية ( قبيلة تغلب : عبد القادر حرفوش / 55 ( بجهات سنجار ونصيبين ، وما بين الموصل ورأس عين ، ودنيسر والخابور ، وتعرف بديار ربيعة ( معجم البلدان : 2 / 494 ) .

ومن أشهر كورها وقراها : قرقيسيا ، وميافارقين ، وماردين ، وسيمساط ، وبلد ، وغيرها ، وسكنت بعض بطونها دارين من البحرين الإحساء حالياً ( تاريخ الطبري : 1 / 492 ) ، وأسكن الملك الساساني سابور ذو الأكتاف بعضهم في كرمان والأهواز .

وقال الطبري : 1 / 495 : « ثم استصلح العرب ( سابور ) وأسكن بعض قبائل تغلب ، وعبد الشمس ، وبكر بن وائل كرمان ، وتوج ، والأهواز » .

--------------------------- 14 ---------------------------

4 - مياه بني تغلب ومواضعهم

من مياه بني تغلب المشهورة في ديار ربيعة التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان ، والبكري في معجم ما استعجم : أبارق الثمدين : تثنية الثمد ، وهو الماء القليل ، قال القتال الكلابي :

سرى بديار تغلب بين حوضي \* وبين أبارق الثمدين سارِ

سماكيٌّ تلألأ في ذراه \* هزيم الرعد ريان القرارِ

والبِشْر : جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية ، وفيه معدن القار والمغرة ، والطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد ، والرمل الذي في حلب يعمل منه الزجاج ، وهو رمل أبيض ، وهو من منازل بني تغلب بن وائل .

والثرثار : واد عظيم بالجزيرة بين سنجار وتكريت يمد إذا كثرت الأمطار ، وللعرب بنواحيه وقائع ، ولهم فيه أشعار .

والثَنِي : علم لموضع بالجزيرة قرب شرقي الرصافة .

وحابس : اسم موضع كان فيه بعض أيامهم .

والحريم : موضع في ديار بني تغلب قريب من ذي بَهْدا .

وحَزَّة : موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور .

--------------------------- 15 ---------------------------

والحصيد : موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة .

ودير لُبى أو لبنى بالنون ، دير قديم على جانب الفرات .

والرُحوب : بالجزيرة ، وهو لبنى جشم بن بكر رهط الأخطل ، أوقع فيه الجحاف - بن فاتك السلمي الشاعر - بقوم الأخطل وأسر الأخطل وعليه عباءة وسئل فقال : أنا عبد ، فخلوا سبيله فخشي أن يعرف فيقتل فرمى نفسه في جب حتى انصرف القوم فنجا ، وقتل أبوه غياث .

وعنازة : موضع من ديار تغلب .

وقباقب : ماء لبني تغلب خلف البشر من أرض الجزيرة .

والقنينيات : اسم حَفْر في بلاد تغلب . قال عدي بن الرقاع :

حتى وردنا القنينيات ضاحية \* في ساعة من نهار الصيف تلتهب

وكباث : بالجزيرة لبني تغلب كان يقام به سوق في الجاهلية .

--------------------------- 16 ---------------------------

5 - بنو تغلب في عصرنا

يتواجد بنو تغلب في زماننا في العراق ، خصوصاً في مدينة الكوت والموصل وتكريت والأنبار وحديثة ، وبعض المناطق الأخرى في الوسط والجنوب ، وفي سوريا ، ولبنان ، لكن التسمية بتغلب والتغلبيين تلاشت غالباً وصارت كل البطون تسمى ربيعة دون تمييز ، فصار اسم ربيعة عاماً للشيباني والتغلبي والقيسي ( قيس بن ثعلبة ) ولبني عبد القيس وبني عجل . وقد احتفظ بنو حمدان باسمهم في العراق وسوريا ولبنان .

\* \*

--------------------------- 17 ---------------------------

الفصل الثاني : حروب تغلب في الجاهلية

1 - من أيام تغلب في الجاهلية

خاضت تغلب حروباً كثيرة ، كان أشرسها وأطولها حربهم مع أبناء عمومتهم بكر بن وائل ، لأن جساس بن مرة الشيباني قتل كليباً وهو وائل بن ربيعة . وعرفت بحرب البسوس وهي ناقة كانت الحرب بسببها ، ودامت نحو أربعين عاماً . ومن أيامهم :

1 - يوم السلان : غزت فيه مذحج أهل تهامة ومن بها من أولاد معد ، فاجتمعوا لحربها ، وكان أكثرهم ربيعة ، فرأسوا عليهم ربيعة

--------------------------- 18 ---------------------------

بن الحارث ، فهزموا مذحجاً . ( تاريخ اليعقوبي : 1 / 224 )

2 - وقعة الخزاز : كانت بين القبائل القحطانية من أهل اليمن ، وبين ربيعة بن نزار عامة وتغلب خاصة ، وسببها ثورتهم على ملوك بني الحارث من كندة ، حيث كان ملك تغلب وبكر سلمة بن الحارث الكندي ، وملك قيس معدي كرب بن الحارث ، وملك أسد وكنانة حجر بن الحارث والد امرئ القيس الشاعر ، فثارت القبائل ضد بني الحارث فقتلتهم ، وبقي سلمة بن الحارث ، فلحق باليمن وجمع الجموع ، وسار ليقاتل بني نزار وكان عنده أسرى من ربيعة ، فجاء وفد ليفكهم فرفض وطلب كبرائهم رهينة ، وبلغ الخبر كليب وائل فبعث إلى ربيعة فجمعهم وسار بهم وعلى مقدمته السفاح التغلبي ، فالتقوا بخزاز فاقتتلوا فانهزمت مذحج . فملَّكت ربيعة كليباً أخ المهلهل قبل أن يقتله جساس وتشتعل بسببه حرب البسوس . ( الكامل : 1 / 521 ) .

3 - يوم كلاب الأول : بين الملك شرحبيل بن الحارث بن عمرو ملك بكر بن وائل ، وأخيه سلمة بن الحارث ملك تغلب والنمر بن قاسط ، فسار شرحبيل فيمن معه ومنهم الصنائع وهم قوم مع الملوك من شذاذ العرب ، فأقبلوا إلى كلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد ، فاقتتلوا فلما كان آخر النهار خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا ، وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب وصبرت تغلب ،

--------------------------- 19 ---------------------------

ونادى منادي شرحبيل من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل ، ونادى منادي سلمة بذلك ! فكانت الغلبة لتغلب وسلمة ، وانهزم شرحبيل ، ولحقه أبو الحنش فقتله وجاء برأسه لأخيه سلمة ، فندم وجزع وهرب أبو حنش . ( الكامل : 1 / 550 ) .

4 - يوم أوارة الأول : كان بين المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة وبين بكر بن وائل ، وسببه أن تغلب طردت ملكها سلمة بن الحارث ، فالتجأ إلى بكر بن وائل فملكته بكر عليها ! فحلف المنذر ليسيرن إليهم ويذبحهم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض ! وسار إليهم في جموعه من تغلب والنمر بن قاسط فالتقوا بأوارة فاقتتلوا وانهزمت بكر ، وأمر المنذر بقتل الأسرى وهم كثر فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد ، فقيل له : أبيت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ، ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم إلى الحضيض ، وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار ! ( الكامل : 1 / 553 )

5 - حربهم مع الحارث بن عمرو : ملك بكر بن وائل ، وذلك عندما طلب الملك الساساني أنوشروان الحارث بن عمرو وهو بالأنبار فهرب في أصحابه وماله ، فتبعه المنذر بالخيل من تغلب وإياد وبهراء فلحق بأرض كلب ونجا ، وأخذت بنو تغلب ثمانية

--------------------------- 20 ---------------------------

وأربعين نفساً من بني آكل المرار ملك بكر بن وائل فضرب المنذر رقابهم بين دير بني هند والكوفة . وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوك من بني حجر بن عمرو \* يساقون العشية يقتلونا

فلو في يوم معركة أصيبوا \* ولكن في ديار بني مرينا

ولم تغسل جماجمهم بغسل \* ولكن في الدماء مرملينا

تظل الطير عاكفة عليهم \* وتنتزع الحواجب والعيونا

( الكامل : 1 / 435 )

6 - مقتل عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة . قتله عمرو بن كلثوم التغلبي الشاعر ، وسببه أن عمرو بن المنذر قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب يأنف أن تخدم أمه أمي ؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ، فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل ، وزوجها كلثوم وابنها عمرو . فبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره أن تزور أمه ليلى أمه هند بنت الحارث ، فقدم في فرسان من بني تغلب ومعه أمه ليلى فنزل على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وصنع لهم طعاماً ، ودعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ،

--------------------------- 21 ---------------------------

ولأمه هند قبة في جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة ، وقال عمرو بن المنذر لأمه : إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الظرف فنحي خدمك عنك ، فإذا دنا الظرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشئ بعد الشئ ، فلما فرغت الظروف قالت هند لليلى : ناوليني ذلك الطبق ! قالت : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها ، فألحت عليها فقالت ليلى : وا ذلاه يا آل تغلب ! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه ، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند ( عمرو ) وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه ثم ضرب به رأس عمرو بن هند فقتله ، وخرج فنادى يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله ، وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة ، فقال أفنون التغلبي :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد \* دعا لتخدم ليلى أمه ، بموفق

فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتاً \* وأمسك من ندمانه بالمخنق

( الكامل : 1 / 547 )

7 - يوم بارق : اقتتل فيه بنو تغلب والنمر بن قاسط وناس من تميم ، فاجتمعت شيبان وقصدوا تغلب فقتلوا منهم مقتله عظيمة لم تصب تغلب بمثلها وسبوا حريمهم . ( الكامل : 1 / 648 ) .

--------------------------- 22 ---------------------------

8 - حربهم مع ملك الشام الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان مرَّ بجماعة من تغلب فلم يستقبلوه ، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي فلقيه فقال له : ما منع قومك أن يتلقوني ؟ فقال : لم يعلموا بمرورك . فقال : لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدومي ! فقال عمرو : ما استيقظ قوم قط إلا نَبُلَ رأيهم وعزَّت جماعتهم ، فلا توقظن نائمهم . فقال : كأنك تتوعدني بهم ؟ أما والله لتعلمن إذا نالت غطاريف غسان الخيل في دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها ! ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وغزا بني تغلب ، فاقتتلوا حتى انهزم الحارث وبنو غسان ، وقتل أخو الحارث وعدد كثير !

9 - حربهم مع زهير بن جناب الكلبي : فقد جمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن ، وغزا بكراً وتغلب ، فانهزمت بكر ثم انهزمت تغلب ، وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة . ( الكامل : 1 / 505 ) .

10 - يوم زرود : موضع بين مكة والكوفة ، وفيه أغار جذيمة التغلبي على بني يربوع من تميم ، فانهزمت تغلب وأسر جذيمة ( معجم ما استعجم : 2 / 697 ) .

--------------------------- 23 ---------------------------

11 - يوم ذي بهدى : أغار الهذيل بن هبيرة التغلبي على ضبة ، وهم بطن من مضر ، فاستصرخت بنو ضبة بني سعد بن زيد مناة من تميم ، فانهزمت بنو تغلب ، وأسر الهذيل ، ثم فداه قومه ففكوا أسره . ( الكامل : 1 / 218 ) .

12 - يوم إراب : ماء بالبادية لبني رياح من تميم ، وقد غزاهم هذيل بن هبيرة التغلبي فسبى نساءهم . ( الكامل : 1 / 133 ) .

13 - يوم سفار : كان هذيل بن هبيرة التغلبي من بكر بن حبيب ، المعروفين بالأراقم ، وكان بنو تميم يفزِّعون به ولدانهم فأغار على إبل نعيم بن قعنب الرياحي فهرب رجالها ، فجلس الهذيل على شفير بئر تسمى سِفار مطمئناً ، فرآه حباشة المازني التميمي فرماه بسهم من خلفه فأصابه وسقط في القليب ميتاً ! ( الكامل : 3 / 739 ) .

14 - يوم ثبرة : من ديار بني مالك بن زيد مناة بن تميم ، كانت فيه حرب بينهم وبين تغلب ، فهزمت بنو يربوع . ( الكامل : 1 / 335 ) .

--------------------------- 24 ---------------------------

2 - حروب تغلب مع قيس في الإسلام !

قيس بن عيلان بن مضر بن نزار : قبيلة عربية كبيرة ، وبطونها كثيرة ، منها : بنو سليم بن منصور ، وبنو هوازن بن منصور ، وبنو عامر بن صعصعة ، وبنو هلال بن عامر ، وبنو فزارة وذبيان ، وعبس ، وكلاب ، وغطفان ، وغيرها . وهذا هو المتبادر من قيس والقيسية عندما تطلق الكلمة .

وهناك قبيلة أخرى تسمى قيساً وهم : بنو قيس بن ثعلبة ، بطن من بكر بن وائل ، وهم رهط الأعشى ميمون بن قيس .

وبعد هلاك يزيد بن معاوية ، كان زعيم القيسية عمير بن الحباب ، وقد بايع عبد الله بن الزبير ، فنقمت عليه قبائل اليمانية بزعامة حسان بن بحدل الكلبي الذين بايعوا مروان بن الحكم الأموي . بينما كانت بنو تغلب وبكر بن وائل يميلون إلى بني أمية لكنهم أقرب إلى الحياد . وعندما استقر الأمر لعبد الملك بن مروان قام بتحريك القيسية على تغلب وأشعل الحرب بينهم !

في الموسوعة العربية : http : / / www . arab - ency . com / index . php ? module = pnEncyclopedia & func

« أقامت تغلب بعد الإسلام في مواطنها بين الخابور والفرات ، واكتفى عمر بإضعاف الصدقات عليها ، وفي عصر بني أمية

--------------------------- 25 ---------------------------

كانت موالية لهم ، وقد حدثت بينها وبين قبيلة قيس حرب ضارية لأن قيساً أرادت إجلاءها عن مواطنها ، وقد تداولت القبيلتان النصر في هذه الحرب ، وظهرت في وقائعها ألوان من الوحشية لا عهد للعرب بها من قبل في حروبهم . وقد هاج الحرب نزول عمير بن الحباب القيسي في ديار بني تغلب على الخابور ، وكان يطمع في إجلاء بني تغلب عنها لخصبها ، واستعان بعهد من مصعب بن الزبير يخوله جباية الصدقات من تغلب ، فلما أبت تغلب أداءها وقع الشر بين الجهتين وتوالت الوقائع بينهما ! ومن وقائعها يوم ماكسين الذي أوقعت فيه قيس بتغلب وقتلت منهم مقتلة عظيمة ، وقتلت رئيسهم شعيث بن مليل ، فاستعانت تغلب بقبائل ربيعة وأوقعت بقبيلة قيس يوم الثرثار . وما لبثت قيس أن ثأرت لهزيمتها في يوم الثرثار الثاني ، واتصل القتال بينهما ، وقتل عمير بن الحباب في إحدى الوقائع » .

وهذا نموذج من تحريش الأمويين بين القبيلتين :

« وكان بنو تغلب قد قتلت عمير بن الحباب السلمي ، فاتفق أن قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان ، والجحاف بن حكيم السلمي جالس عنده ، فقال عبد الملك : أتعرف هذا يا أخطل ، قال : نعم ، هذا الذي أقول فيه :

--------------------------- 26 ---------------------------

ألا سائلُ الجحَّاف هل هو ثائرٌ \* بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضباً يجر مطرفه ، فقال عبد الملك للأخطل : ويحك أغضبته ، وأخلق به أن يجلب عليك وعلى قومك شراً ! فكتب الجحاف عهداً لنفسه من عبد الملك ! ودعا قومه للخروج معه ، فلما وصل البشر قال لقومه : قصتي كذا فقاتلوا عن أحسابكم أو موتوا ! فأغاروا على بني تغلب بالبشر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم قال الجحاف يجيب الأخطل :

أيا مالكٌ هل لمتني إذا حضضتني \* على الثأر أم هل لامني فيك لائمي

متى تدعني أخرى أجبك بمثلها \* وأنت امرؤ بالحق لست بقائم

فقدم الأخطل على عبد الملك ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة \* إلى الله منها المشتكى والمعول

فإن لم تغيرها قريش بعدلها \* يكن عن قريش مستمازٌ ومَرحل

( الكامل : 4 / 330 ، معجم البلدان : 1 / 427 )

ونلاحظ أن الرواية زعمت أن زعيم قيس زوَّر لنفسه مرسوماً من الخليفة القرشي ولم يحاسبه عليه ! وأن شاعر تغلب يطلب النصرة من الخليفة القرشي !

--------------------------- 27 ---------------------------

وقد تواصلت الحروب سنين بين تغلب وقيس ، ووصلت إلى أكثر من خمسة عشر وقعة ، وعدد المؤرخون أيامها ، وشعرها ، وسبيها ، وقتلاها !

فقالوا أول وقعاتهم بماكسين من الخابور « وقتل من تغلب خمس مئة » . ( الكامل : 4 / 311 ) .

ويوم الثرثار الأول « فانهزمت قيس وقتلت تغلب ومن معها منهم مقتلة عظيمة ، وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سليم » .

ويوم الثرثار الثاني : « فالتقوا بالثرثار واقتتلوا أشد قتال اقتتله الناس » ! ( الكامل : 4 / 311 ) .

ويوم الفدان ، ويوم السكير ، ويوم معارك ، ويوم لبى ، ويوم الشرعبية ، ويوم البليخ ، ويوم الحشاك ، ويوم الكحيل ، ويوم البشر ، ويوم خالة . . . الخ .

والخليفة الأموي فرحٌ بإشعال الحرب بين القبائل ، انتقاماً لموقف هذه ضده ، أو تضعيفاً لقوة قبيلة أخرى يخاف أن تخالفه !

ويبقى هو البرئ من التسبيب ، والحكَم الذي يتفضل ويتدخل لإيقاف الفتنة بين المسلمين وسفك الدماء !

--------------------------- 28 ---------------------------

.

--------------------------- 29 ---------------------------

الفصل الثالث : سياسة النبي ( صلى الله عليه وآله ) مع تغلب وغسان

1 - ديانة بني تغلب

كانت حِمْيَر تعبد الشمس ، وكنانة تعبد القمر ، وقيس تعبد الشعرى ، ولخم تعبد المشتري ، وطئ تعبد نجمة السهيل ، وأسد تعبد العطارد ، وتميم تعبد الدبران ، وبنو مليح يعبدون الجن ، وأكثر العرب يعبدون الأوثان والأصنام ، وكانوا يقولون : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ! وكانوا يتخذون من أحجار الصحراء أصناماً إذا أرادوا السفر ويتخذون أحجاراً أخرى أثافيَّ لقدورهم . وكانوا يتمسحون بالأصنام ، ويرون أن القربان يجلب رضاها ، فإذا قربوا لها قرباناً تلطخوا بدمه .

وجعلوا الكعبة بيتاً مركزياً للأوثان فكان فيها أكثر من ثلاث مائة وستين صنماً منها اللات والعزى ومناة ، اللاتي كانت قريش تزعم أنهن بنات الله تعالى ، واللات بدورها أم سائر الآلهة وكانت تغلب من بين القبائل القليلة التي اعتنقت النصرانية .

--------------------------- 30 ---------------------------

قال اليعقوبي في تاريخه : 1 / 257 : « أما من تنصر من أحياء العرب ، فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى ، منهم : عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى ، وورقة بن نوفل بن أسد . ومن بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة بنو تغلب . ومن اليمن طئ ، ومذحج ، وبهراء ، وسليح ، وتنوخ ، وغسان » .

وسبب تنصر بني تغلب قربهم من سوريا ، التي يحكمها الروم بواسطة بني غسان الذين تنصروا .

ومن السياسات الحكيمة للنبي ( صلى الله عليه وآله ) أنه حرص على جذب القبائل العربية الواقعة تحت نفود الفرس والروم إلى صف العرب المسلمين ، وقام لذلك بعدة أعمال حققت هذا الهدف ، فقد منع الروم من تكوين قاعدة عسكرية عربية لهم في مملكة الجوف ، وأسر ملكهم الأكيدر وكتب معه اتفاقية ، ولم يقتله .

وعندما تنصَّر عدي بن حاتم الطائي وأخذ الروم يمدونه ، بعث إليه علياً ( عليه السلام ) ، فهرب عدي إلى الشام ، فأطلق النبي ( صلى الله عليه وآله ) أسراه وأرسل أخته سفانة بنت حاتم لتحضره ، فحضر وعفا عنه .

وعندما أساء حاكم الشام الغساني وهدد النبي ( صلى الله عليه وآله ) بالحرب ، لم يرد النبي ( صلى الله عليه وآله ) على تهديده ، بل وجه المسلمين إلى حرب هرقل !

--------------------------- 31 ---------------------------

وكذلك لم ينتقم ( صلى الله عليه وآله ) من حاكم بصرى لقتله رسوله ، بل رد على ذلك بغزو مؤتة التي هي مركز تجمع لجيش الروم .

وكان نتيجة هذه السياسة أن قبائل العراق والشام ابتعدوا عن كسرى وهرقل ، واقتربوا من إخوانهم العرب وأسلموا .

ففي السنة التاسعة جاء وفد بني تغلب إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) وأعلنوا ولاءهم فكتب معهم اتفاقيةً تقرهم على مسيحيتهم ، على أن لا ينصروا أولادهم . فساعد ذلك على دخول أكثرهم في الإسلام ، بينما تأخر دخول الغساسنة إلى ما بعد وفاة النبي ( صلى الله عليه وآله ) .

--------------------------- 32 ---------------------------

2 - فشل هرقل في حشد القبائل ضد النبي ( صلى الله عليه وآله )

قال المسعودي في التنبيه والإشراف / 134 ، وهو مؤرخ خبير بالروم : إن أمبراطور الروم هرقل بدأ حكمه عام هجرة النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، وحَكَم إلى السنة الثانية من خلافة عثمان ، فكان قائد الروم في حروبهم مع الفرس ، وفي حروبهم مع النبي ( صلى الله عليه وآله ) والمسلمين .

بينما كان أمبراطور الفرس كسرى أبرويز عند هجرة النبي ( صلى الله عليه وآله ) في السنة الثالثة والثلاثين من حكمه .

وعندما ملك هرقل كانت الحرب بينه وبين الفرس في أدنى الأرض في حوران فانتصر فيها الفرس ، وقال عنها الله تعالى : ألَمِ . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ .

وبعدها حاصر الفرس القسطنطينية ، لكن قائدهم شهر براز ساءت علاقته بكسرى ، فاتفق مع هرقل وسحب جيشه من حصار القسطنطينية .

وحارب هرقل جيوش كسرى في مصر وسوريا فهزمها ، وحارب كسرى في الموصل ، فانهزم الفرس ، فغضب كسرى على كبار قادته وعماله وحبسهم ليقتلهم ، وكان عددهم ثلاثين ألفاً ! فاتفقوا وخلعوه وملَّكوا ابنه شيرويه . ( راجع الأخبار الطوال / 106 ) .

--------------------------- 33 ---------------------------

وعاد هرقل منتصراً ، وقد اطمأن إلى أن النظام الفارسي في حالة تفكك ، وكان له تأثير على ابن كسرى وقادة الجيش المتصارعين .

وقد استحاب الله لنبيه فمزق ملك كسرى وهو في أوج قوته ، فبعد أن حكم ثمانية وثلاثين عاماً حكم ابنه شيرويه ستة أشهر ، وأصابته كآبة بعد أن قتل أباه وإخوته الخمسة عشر ! ثم حكم ابنه أردشير سنة ونصفاً . ثم حكم شهر براز أربعين يوماً . ثم حكم كسرى بن قباذ ثلاثة أشهر . ثم حكمت بوران ابنة كسرى سنة ونصفاً ، وفي عهدها قال النبي ( صلى الله عليه وآله ) عن الفرس : ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . ثم حكم فيروز جشنس بنده ستة أشهر . ثم حكمت آزر ميدخت بنت كسرى ستة أشهر . ثم حكم فرخزاد خسرو بن أبرويز سنة . ثم حكم يزجرد بن شهريار بن كسرى عشرين سنة ، لكنه كان متخفياً هارباً من المسلمين حتى قتل في خلافة عثمان أو خلافة علي ( عليه السلام ) في أفغانستان . ( الطبري : 1 / 587 والتنبيه والإشراف / 89 ، والمحبر / 362 ، واليعقوبي : 1 / 156 ، و 172 ) .

وبعد انتصاره على الفرس ، بقي هرقل في بلاد الشام يرتب أمورها ، وأعلن أنه سيحج إلى بيت المقدس ماشياً شكراً للمسيح الذي نصره على الفرس .

--------------------------- 34 ---------------------------

وكان هرقل يهاب النبي ( صلى الله عليه وآله ) أكثر مما يهاب كسرى ، فكان يعد لمعركته المقبلة معه ، ولكنه أجابه على رسالته بجواب ليِّن ، وأنه يؤمن بأنه النبي الأخير الذي بشر به عيسى ( عليه السلام ) ، واعتذر منه بأن بطارقة الروم لم يطيعوه في الاعتراف بنبوته !

فقد أراد بذلك أن يكسب الوقت للإعداد للحرب . وقد أمر هرقل الحارث ملك الشام أن يقتل حاكم عَمَّان لأنه بعث إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) بإسلامه ، ثم أمر بقتل يوحنا حاكم أيلة وصلبه ، لأنه كتب عهد صلح مع النبي ( صلى الله عليه وآله ) عندما جاء إلى مؤتة !

كما أمر بقتل رسول النبي ( صلى الله عليه وآله ) إلى حاكم بصرى ، بينما أكرم هو رسوله وأجابه جواباً ليناً !

كان هرقل يحشد جيش غسان في الشام ، وجيش كندة عند الأكيدر ملك دومة الجندل ، ويهئ متنصرة المدينة ومنافقيها ومنافقي قريش وبقايا اليهود ، لحرب النبي ( صلى الله عليه وآله ) .

ولكن كل ذلك عنده تمهيدات عسكرية وإعلامية ، لأن اعتماده في كل معاركه كان على فرسان الروم المحترفين ، الذي سيزحف بهم إلى المدينة خلف الجيش العربي !

--------------------------- 35 ---------------------------

لذلك قرر النبي ( صلى الله عليه وآله ) أن يوجه إلى هرقل رسالة قوية فيبادر إلى الاشتباك مع جيشه الرومي في بلاد الشام ، لصرفه عن التفكير في غزو الجزيرة . وكان حريصاً على تجنب المعركة مع الحكام العرب المحليين وحصر المعركة مع الروم ليضغط عليهم فينسحبوا من الشام ومصر ، ويضغط على الحكام المحليين ليفكوا ارتباطهم بالروم ، ويعقدوا معه معاهدات صلح .

وبهذه الرؤية أمر النبي ( صلى الله عليه وآله ) جعفر بن أبي طالب ( رحمه الله ) أن يتوغل إلى قرب القدس حيث الجيش الرومي المحترف ، ولم يأمره أن يثأر من حاكم بصرى ، ولا من الحارث حاكم الشام ! يقول بذلك لهرقل إن الاشتباك مع الجيش الرومي ، وليس مع غيره !

وبهذه الخطة قصد النبي ( صلى الله عليه وآله ) هرقل في تبوك ، وكان يحث المسلمين على المعركة فيقول : « أغزوا الروم تنالوا بنات الأصفر » ! ( تفسير القمي : 1 / 293 ، والاستيعاب : 1 / 266 ) فكان يوجههم إلى الروم ، ويطمعهم ببناتهم البيض ، وليس ببنات المنطقة السمر !

وكان من نتائج سياسته ( صلى الله عليه وآله ) أن بني تغلب قرروا الانضمام إلى جبهة العرب فوفدوا على النبي ( صلى الله عليه وآله ) ! ومعناه أنهم قرروا أن يتحملوا غضب القبائل المتحالفة مع الروم ، وأولهم خلطاؤهم الغساسنة ملوك الشام .

--------------------------- 36 ---------------------------

3 - وفد تغلب إلى النبي ( صلى الله عليه وآله )

دخل بعض أفراد قبيلة تغلب في الإسلام ، ثم أرسلت وفداً إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) في عام الوفود ، رغم أنها بعيدة عن مركز الوحي وقريبة من دولة الشام ، التي يحكمها هرقل بواسطة الغساسنة .

قال ابن سعد في الطبقات : 1 / 316 : « قدم على رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وفد بني تغلب ستة عشر رجلاً ، مسلمين ونصارى عليهم صُلُبُ الذهب ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث ، فصالح رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) النصارى على أن يقرهم على دينهم ، على أن لا يصبغوا ( يُعَمِّدُوا ) أولادهم في النصرانية ، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم » .

وكتب أمير المؤمنين بينهم وبين النبي ( صلى الله عليه وآله ) كتاباً بذلك الشرط .

وروى البيهقي في سننه : 9 / 217 : « قال علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) لئن بقيت لنصارى بني تغلب لأقتلنَّ المقاتلة ولأسبينَّ الذرية ، فإني كتبت الكتاب بين النبي ( صلى الله عليه وآله ) وبينهم على أن لا يُنَصِّروا أبنائهم » .

ومعناه أن النبي ( صلى الله عليه وآله ) اشترط عليهم أن لا يشجعوا أولادهم على اعتناق النصرانية ، بل يتركوهم ليدخلوا في الإسلام .

--------------------------- 37 ---------------------------

وذكرت بعض النصوص أن بطوناً منهم كانت تسكن العراق دخلت الإسلام في السنة السادسة عشرة للهجرة ( الطبري : 3 / 141 ، والكامل : 2 / 523 ) وأما التي كانت تسكن قرب بلاد الروم فرفضوا ، فكتب عمر إلى الوليد بن عتبة أن يتركهم ، وخاف أن يسطو عليهم فعزله وأقر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمرو الجملي . ( الكامل : 2 / 533 ) .

4 - الموقف الفقهي من نصارى تغلب

قال العلامة الحلي في تذكرة الفقهاء : 9 / 286 : « بنو تغلب بن وائل من العرب من ربيعة بن نزار ، انتقلوا في الجاهلية إلى النصرانية . وانتقل أيضاً من العرب قبيلتان أخريان وهم تنوخ وبهراء ، فصارت القبائل الثلاثة من أهل الكتاب ، تؤخذ منهم الجزية كافة كما تؤخذ من غيرهم ، وبه قال علي ( عليه السلام ) وعمر بن عبد العزيز لأنهم أهل كتاب ، فيدخلون تحت عموم الأمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب .

وقال أبو حنيفة : لا تؤخذ منهم الجزية ، بل تؤخذ منهم الصدقة مضاعفة ، فيؤخذ من كل خمس من الإبل شاتان ، ويؤخذ من كل عشرين ديناراً دينار ، ومن كل مائتي درهم عشرة دراهم ، ومن

--------------------------- 38 ---------------------------

كل ما يجب فيه نصف العشر العشر وما يجب فيه العشر الخمس . وبه قال الشافعي وابن أبي ليلى والحسن بن صالح بن حي وأحمد بن حنبل ، لأن عمر ضعف الصدقة عليهم !

وهي حكاية حال لا عموم لها ، فجاز أن تكون المصلحة للمسلمين في كف أذاهم بذلك . ولأنه كان يأخذ جزية لا صدقة وزكاة . ولأنه يؤدي إلى أن يأخذ أقل من دينار بأن تكون صدقته أقل من ذلك . ولأنه يلزم أن يقيم بعض أهل الكتاب في بلد الإسلام مؤبداً بغير عوض ، بأن لا يكون له زرع ولا ماشية .

وروى العامة عن علي ( عليه السلام ) أنه قال : لئن تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأي لأقتلن مقاتلتهم ولأسبين ذراريهم ، فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم » . جواهر الكلام : 21 / 233 ، والخلاف : 6 / 49 ، والمبسوط : 2 / 50 ، والمغني : 10 / 87 و 590 .

وكانت نتيجة سياسة النبي ( صلى الله عليه وآله ) وأمير المؤمنين ( عليه السلام ) أن تغلباً دخلت عامتها في الإسلام ، إلا قليلاً منهم يقيم في سوريا .

\* \*

--------------------------- 39 ---------------------------

الفصل الرابع : بنو تغلب بعد وفاة النبي ( صلى الله عليه وآله )

1 - اتهام التغلبيين بأنهم ارتدوا بعد النبي ( صلى الله عليه وآله )

اتهم التاريخ الرسمي بني الهذيل بن عمران ، أحد بطون تغلب بأنهم انضموا إلى سجاح المتنبئة ، عندما أعدَّت جيشاً كثيفاً لاجتياح المدينة ، بعد وفاة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) !

قال ابن الأثير في الكامل : 2 / 355 : « فبينما الناس ( المسلمين ) ببلاد تميم مسلمهم بإزاء من أراد الردة وارتاب ( من أتباع الحنفي مسيلمة الكذاب ) إذ جاءتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية ، قد أقبلت من الجزيرة ، وادعت النبوة ، وكانت ورهطها في أخوالها من تغلب تقود أفناء ربيعة معها الهذيل بن عمران في بني تغلب ، وكان نصرانياً فترك دينه وتبعها ، وعقبة بن هلال في النمر ( بن قاسط ) وزياد بن فلان في إياد ، والسليل بن قيس في شيبان . وكانت سجاح تريد غزو أبي بكر فأرسلت إلى مالك بن نويرة

--------------------------- 40 ---------------------------

اليربوعي التميمي تطلب الموادعة ، فأجابها وردها عن غزوها ( المدينة ) وحملها على أحياء من بني تميم ، فأجابته .

وعزمت من هناك على غزو قبيلة الرباب وهم بطن من ضبة ، فسجعت لأتباعها : أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب .

فساروا إليهم فلقيتهم ضبة وعبد مناة ، فقتل بينهم قتلى كثيرة وأسرى ، ثم تصالحوا .

وقال ابن الأثير في الكامل : 2 / 357 : « ثم سارت سجاح في جنود الجزيرة حتى بلغت النباج ، فأغار عليهم أوس بن خزيمة الهجيمي في بني عمرو ، فأسر الهذيل وعقة ، ثم اتفقوا على أن يطلق أسرى سجاح ، ولا تطأ أرض أوس .

ثم خرجت سجاح في الجنود إلى اليمامة وقالت : عليكم باليمامة ودفوا دفيف الحمامة ، فإنها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة . فقصدت بني حنيفة ، فبلغ ذلك مسيلمة فخاف إن هو شغل بها أن يغلب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولها على اليمامة ، فأهدى لها ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها فأمنته ، فجاءها في أربعين من بني حنيفة ، فصالحها على

--------------------------- 41 ---------------------------

غلات اليمامة سنة تأخذ النصف ، وتترك عنده من يأخذ النصف فأخذت النصف وانصرفت إلى الجزيرة .

فلم تزل سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة ، وجاءت معهم وحسن إسلامهم لإسلامها ، وانتقلت إلى البصرة وماتت بها » .

كما روت مصادر السلطة المتحيزة لخالد بن الوليد أن بني تغلب ارتدوا بعد النبي ( صلى الله عليه وآله ) وأنهم وقفوا في وجه الفتوحات الإسلامية وكانت لهم معارك مع المسلمين بقيادة خالد . لكنا نشك في ذلك لأنا نعلم كذب ادعائهم المشابه على بني يربوع التميميين ، فقد جعلوهم مرتدين لأن رئيسهم مالك بن نويرة ( رحمه الله ) اعترض على خلافة أبي بكر ، فطمأنه خالد ونزل عنده ، ثم غدر بهم وقتل مالكاً وعدداً معه ، وتزوج بامرأته في نفس الليلة !

وذكر : 2 / 398 ، أن خالداً أراد أن يغدر ببني تغلب : « وعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ ، وخرج خالد من العين قاصداً إليهم فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمصيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم ، وأفلت الهذيل في ناس قليل ، وكثر فيهم القتل ، وكان مع الهذيل عبد العزى بن أبي رهم أخو أوس مناة ، ولبيد بن

--------------------------- 42 ---------------------------

جرير وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما ، فقتلا في المعركة ، فبلغ أبا بكر قول عبد العزى :

أقول إذ طرق الصباح بغارة \* سبحانك اللهم رب محمد

سبحان ربي لا إله غيره \* رب البلاد ورب من يتورد

فوداهما وأوصى بأولادهما . فكان عمر يعتد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد » . أي بوجوب قتل خالد لغدره بمسلمين . لذلك نشك في معارك خالد المزعومة مع التغلبيين لإعادتهم إلى الإسلام ، ويكفي اتهام عمر لخالد بأنه غدر بزعمائهم ، كما فعل بمالك بن نويرة ! فالمرجح أنهم اعترضوا كبني يربوع التميميين ، على خلافة أبي بكر فألبسوهم ثوب الإرتداد ليبرروا قتالهم . ويؤيد ذلك أن ولاءهم لعلي وعترة النبي ( صلى الله عليه وآله ) كان قوياً ، كجيرانهم بني يربوع ، وستعرف تشدد بني حمدان في التشيع .

--------------------------- 43 ---------------------------

2 - الصحابة من بني تغلب

1 : أديم التغلبي : ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ( 1 / 138 ) ، روى عنه صبي بن معبد في كنز العمال ( 5 / 162 ) .

2 : روح بن حبيب : أدرك النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، وروى عن بعض الصحابة ( تاريخ دمشق : 18 / 238 )

3 : مرثد بن عامر : أبو الكنود ، روى عن بكير بن مسمار الرياحي ( الإصابة : 6 / 55 ) .

4 : مفضل بن أبي الهيثم : أدرك النبي ( صلى الله عليه وآله ) وروى عنه . ( المصدر السابق : 6 : 294 ) .

وقد تقدم قول ابن حجر عن عتبة بن الوعل إنه صحابي .

--------------------------- 44 ---------------------------

3 - مشاركة بني تغلب في فتح العراق

لما رأى التغلبيون تعاضد الروم والفرس على قتال العرب ، تحركت العصبية القومية فيهم ، فقاتلوا مع المسلمين رغم أن بعضهم كانوا ما زالوا نصارى . ففي السنة الثالثة عشرة للهجرة أمدَّ ابن مردي الفهر التغلبي في أناس من نصارى تغلب ، المثنى بن حارثة الشيباني في معركة البويب . ( الطبري : 2 / 648 . )

كما ساهموا في فتح تكريت في السنة السادسة عشرة للهجرة ، فقد روى الطبري ( 3 / 141 ) أنه بلغ سعد بن أبي وقاص وهو في المدائن اجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق ( وهو أحد ملوك الروم في الموصل ) واجتماع أهل جلولاء على مهران ، أحد قادة الفرس ، فسرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم ، واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي ، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي ، ففصل عبد الله بن المعتم في خمسة آلاف من المدائن ، فسار إلى تكريت أربعاً حتى نزل على الأنطاق ومعه الروم وإياد وتغلب والنمر ، ومعه الشهارجة وقد

--------------------------- 45 ---------------------------

خندقوا بها ، فحصرهم أربعين يوماً فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفاً ، وكانوا أهون شوكة وأسرع أمراً من أهل جلولاء .

ووكل عبد الله بن المعتم بالعرب ليدعوهم إليه والى نصرته على الروم ، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنمر إلى عبد الله بن المعتم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له فأرسل إليهم : إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم أعلمونا رأيكم . فرجعوا إليهم بذلك أي بقبولهم الإسلام ، فردهم إلى الروم وقال : إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التي تلينا لندخل عليهم منها ، فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ، ونهد عبد الله والمسلمون لما يليهم وكبروا وكبرت تغلب وإياد والنمر وقد أخذوا بالأبواب ( أي أبواب نهر دجلة لئلا يفروا بالسفن ) فحسبوا أن المسلمين أتوهم فبادروا الأبواب التي عليها المسلمون فلم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من تغلب وأياد والنمر .

--------------------------- 46 ---------------------------

4 - بنو تغلب مع أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في صفين

قال نصر بن مزاحم في وقعة صفين / 145 : « ثم مضى أمير المؤمنين حتى نزل بأرض الجزيرة ، فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بالجزيرة . قال : قال علي ليزيد بن قيس الأرحبي : يا يزيد بن قيس قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : هؤلاء قومك ، من طعامهم فاطعم ، ومن شرابهم فاشرب » .

وفي وقعة صفين / 146 : « أتاه وفد بني تغلب فصالحوه على أن يقرهم على دينهم ، ولا يصبغوا أبناءهم في النصرانية . قال : وقد بلغني أنهم قد تركوا ذلك ، وأيم الله لئن ظهرت عليهم لأقتلن مقاتلتهم ولأسبين ذراريهم . فلما دخل بلادهم استقبلته مسلمة لهم كثيرة ، فسر بما رأى من ذلك » .

ومن أبطال تغلب شريك بن خزيم التغلبي ، وقد شهد صفين مع أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وأصيبت عينه ، وسكن بعد وفاته ( عليه السلام ) في بيت المقدس ، ولما بلغه مقتل الحسين ( عليه السلام ) رجع إلى الكوفة ونهض للطلب بثأره مع المختار ، وسار مع إبراهيم بن الأشتر لقتال جيش الشام بقيادة ابن زياد ، وقتل الحصين بن نمير أحد قادة جيش يزيد في كربلاء ، فقد برز الحصين وهو يقول :

--------------------------- 47 ---------------------------

يا قادة الكوفة أهل المنكر \* وشيعة المختار وابن الأشتر

هل فيكم قرم كريم العنصر \* مهذب في قومه بمفخر

يبرز نحوي قاصداً لا يمتري

فخرج إليه شريك بن خزيم التغلبي ، وهو يقول :

يا قاتل الشيخ الكريم الأزهر \* بكربلا يوم التقاء العسكر

أعني حسيناً ذا الثنا والمفخر \* ابن النبي الطاهر المطهر

وابن علي البطل المظفر \* هذا فخذها من هزبر قسور

فالتقيا بضربتين فجدله التغلبي صريعاً ، فدخل على أهل الشام من أهل العراق مدخل عظيم ( ذوب النضار / 135 ) .

ثم استشهد ( رحمه الله ) في تلك المعركة . ( الأعلام : 3 : 163 )

وفي كتاب وقعة صفين لنصر / 487 ، قال خالد بن المعمر :

وفت لعلي من ربيعة عصبة \* بصم العوالي والصفيح المذكر

شقيق وكردوس ابن سيد تغلب \* وقد قام فيها خالد بن المعمر

يقارع بالشورى حريث بن جابر \* وفاز بها لولا حضين بن منذر

ومن شخصيات بني تغلب : عتبة بن الوعل ، شاعر أهل الكوفة ، وأحد أبطال الفتوحات الإسلامية . ( الطبري : 3 / 141 ) .

--------------------------- 48 ---------------------------

قال ابن حجر في الإصابة : 5 / 93 : له إدراك وقد سكن الكوفة وشهد مع أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وساهم في ردِّ الغارات التي كان يشنها معاوية على العراق والحجاز .

قال ابن أعثم في الفتوح : 4 / 225 : ثم بعث معاوية برجل من أصحابه يقال له الحارث بن نمر التنوخي في ألف رجل من حماة أهل الشام ، وأمره بالغارة على بلاد الجزيرة ممن هم في طاعة علي ( عليه السلام ) . قال : فأقبلت خيل أهل الشام حتى بلغت تخوم صفين ودارا ، فأغاروا على قوم من بني تغلب ممن كانوا في طاعة علي رضي الله عنه ، فأسروا منهم ثمانية نفر وانصرفوا راجعين إلى الشام ، وقام رجل من أهل الجزيرة يقال له عتبة بن الوعل ، فجمع قومه من بني تغلب ، ثم صار إلى جسر منبج فعبر الفرات وأغار على أوائل الشام فغنم غنائم كبيرة ورجع إلى الجزيرة وقال :

ألا أبلغ معاوية بن صخر \* فإني قد أغرت كما تغير

صبحنا منبجاً بالخيل تردى \* شوازب في أياطلها ضمير

بكل سميدع ماض جسور \* على الأهوال في ضنك يسير

وكل مجرب بطل همام \* لدى الهيجاء مطلبه عسير

وفتيان يرون الصبر مجداً \* بأيديهم مهندة ذكور

--------------------------- 49 ---------------------------

5 - بنو تغلب في مواجهة الخوارج

وقاتل التغلبيون سنة سبع وسبعين للهجرة مع عتاب بن ورقاء الرياحي شبيب بن زيد الشيباني الخارجي ، الذي قصد الكوفة أيام الحجاج الثقفي لينتزعها منه ، ويبدو أن عددهم كان كبيراً فقد قسموا إلى ثلاثة أقسام وعلى كل قسم منهم أمير وهم : قبيصة بن والق ، وعبد الله بن الحليس ، ونعيم بن عليم ، وكانت تغلب تقاتل في ميسرة عتاب وعليها نعيم بن عليم التغلبي . ( الطبري : 5 / 89 )

6 - شهداء بني تغلب مع الإمام الحسين ( عليه السلام )

استشهد مع الحسين ( عليه السلام ) من بني تغلب :

1 : كنانة بن عتيق التغلبي : ورد ذكره في الزيارتين ( إقبال الأعمال : ابن طاووس : 3 : 78 و 345 ) ، وهو من شهداء الحملة الأولى . ( أنصار الحسين : شمس الدين : 107 )

2 : وضرغامة بن مالك التغلبي ، وورد ذكره في الزيارتين ، وهو من شهداء الحملة الأولى . ( المصدر السابق : 94 )

--------------------------- 50 ---------------------------

3 : وقاسط بن زهير بن الحرث التغلبي : ورد ذكره في زيارة الناحية بعنوان قاسط بن ظهير : « السلام على قاسط وكرش ابني ظهير التغلبيين » ( إقبال الأعمال : 3 : 78 )

كما ورد اسمه في الزيارة الرجبية لكن من دون ذكر نسبه ( الإقبال : 3 : 346 ) . وكرش هو كردوس الآتي ، وروي : قاسط بن عبد الله . ( رجال الطوسي : 104 )

4 : وكردوس بن زهير ، أخو قاسط ، ورد ذكره في الزيارتين بعنوان ( كرش ) ويحتمل أن يكون هو نفسه كردوس التغلبي الذي يروي عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) . ( المصدر السابق : 80 )

وقال السماوي في إبصار العين : 200 : « قاسط بن زهير بن الحرث التغلبي ، وأخوه كردوس بن زهير بن الحرث التغلبي ، وأخوه مقسط بن زهير بن الحرث التغلبي ، كان هؤلاء الثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ومن المجاهدين بين يديه في حروبه ، صحبوه أولاً ثم صحبوا الحسن ( عليه السلام ) ثم بقوا في الكوفة ولهم ذكر في الحروب لا سيما صفين . ولما ورد الحسين ( عليه السلام ) كربلاء خرجوا إليه فجاؤوه ليلاً وقتلوا بين يديه في الحملة الأولى » فعد أخاهما مقسطاً مع قاسط وكردوس ، ولم يرد له ذكر في الزيارتين .

--------------------------- 51 ---------------------------

الفصل الخامس : فضل الدولة الحمدانية على المسلمين

1 - زعامة بني حمدان لقبيلة تغلب

عندما جاءت الدولة العباسية كان زعيم بني تغلب حمدان بن حمدون بن الحارث ، جد الأسرة الحمدانية أميراً على قلعة ماردين قرب الموصل ، وكان مثرياً . وكان عدد من بني تغلب في مناصب الدولة ، كإسحاق بن أيوب العدوي التغلبي والي الجزيرة للمعتمد العباسي ، ومالك بن طوق والي دمشق للمتوكل العباسي وهشام بن عمرو بن بسطام ولي السند للمنصور العباسي .

لكن دولة بني حمدان بدأت في سنة 292 ه‍ عندما عيَّن المكتفي عبد الله بن حمدان حاكماً على الموصل ، وعاشت دولتهم قرناً ( 292 - 393 ه‍ ) وكانت خط دفاع المسلمين مقابل الروم ، الذين كانت عاصمتهم القسطنطينية .

--------------------------- 52 ---------------------------

وعندما استوزر الراضي العباسي أحمد بن محمد البريدي ، ثم ولاه البصرة وواسط والأهواز ، طمع أخوه في بغداد فزحف إليها واحتلها سنة 330 ، فاستنجد الخليفة بآل حمدان ليعيدوا له عاصمته فجاءه ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة بجيش فخاف البريدي ، وهرب إلى واسط وأخلى بغداد ، وقصده الحمدانيون إلى واسط ونشب القتال بينهما ، ففرَّ البريدي إلى البصرة . ثم نصبه الخليفة أميراً عليها . ( الكامل في التاريخ : 8 / 385 ) .

وفي سنة 333 ، هاجموا حلب وهي تحت حكم الإخشيديين فغلبوا عليها ، ثم هاجموا حمص فهزموا حاكمها كافوراً الإخشيدي وغلبوا عليها ( الكامل : 8 / 445 ) ، ثم انتصر ناصر الدولة على تكين التركي ، فاستقر له الأمر بالموصل والجزيرة عام 335 .

وبعد هذه الانتصارات قام ناصر الدولة وإخوته بتنظيم شؤون دولتهم ، وأعلنوا التشيع مذهباً رسمياً لهم ، وأصدروا عملة كتبوا عليها : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فاطمة الزهراء ، الحسن والحسين ، جبريل .

وأسسوا المدارس الدينية ، وقاموا برعاية العلماء والشعراء والأدباء ، خصوصاً في حلب العاصمة . ( دول الشيعة لزميزم / 94 ) .

--------------------------- 53 ---------------------------

وفي عام 336 ، اختلف معز الدولة البويهي السلطان الرسمي للخلافة وناصر الدولة الحمداني ، ودارت بينهما حروب ، وفي عام 345 ، تدخل سيف الدولة وتعهد أن يحمل ناصر الدولة إلى دار الخلافة مليونين وتسع مائة ألف درهم كل عام وضمنها عنه .

--------------------------- 54 ---------------------------

2 - شخصية سيف الدولة المميزة

قال السيد الأمين في أعيان الشيعة : 8 / 269 : « سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان . ولد في سنة 303 ، وتوفي سنة 356 ، البطل العربي الذي صمد في وجه الروم ورد عاديتهم عن بلاد الشام ، وحمى موطنه من غاراتهم وحكمهم ، فلقد أنشأ علي بن حمدان دولته الحمدانية في أحرج ظرف من ظروف العرب والمسلمين ، حين قام نقفور فوقاس الثاني يلوح بمطامعه الهوجاء ، ويزمجر بأمانيه الواسعة في استرداد بلاد الشام ، والنفاذ منها حتى إلى الحجاز ، ولقد كان ضعف الخلافة وتشتت قواها وتمزق شمل البلاد وانقسامها ، مما أغراه على الطمع وشجعه على الإقدام ، ولكنه واجه الصخرة الصلدة التي تحطمت عليها آماله وتبعثرت فيها مطامعه ، واجه سيف الدولة بفروسيته المفادية وشجاعته المتعالية ، فرده خائباً وتغلل في صميم بلاده ، واشتبك معه بمعارك كانت من أروع الصفحات في تاريخنا الحربي والسياسي والأدبي ، وحسبك أنها أبرزت بطلاً كسيف الدولة وشاعرين

--------------------------- 55 ---------------------------

كالمتنبي وأبي فراس ، وأنها كانت كفيلة بحفظ البلاد وحمايتها ورد الروم عنها إلى الأبد .

وكما كان سيف الدولة مجلياً في الميدان العسكري ، فقد كان مجلياً كذلك في ميادين العلوم والآداب ، إذ جمع في بلاطه من العلماء والشعراء والأدباء ما كان منهم خير حفظة لتراث العرب وأفضل رواد لثقافتهم » . انتهى .

وقد اعترف الذهبي رغم تعصبه بدور سيف الدولة ، فقال في سير أعلام النبلاء : 16 / 187 : « سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب ، مقصد الوفود ، وكعبة الجود ، وفارس الإسلام ، وحامل لواء الجهاد . كان أديباً مليح النظم ، فيه تشيع . ويقال ما اجتمع بباب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه . . . وله غزو ما اتفق لملك غيره ، وكان يضرب بشجاعته المثل ، وله وقع في النفوس ، فالله يرحمه » .

وقال ابن خلكان ( 3 / 406 ) : « جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً ، وعمله لبنة بقدر الكف ، وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده ، فنفذت وصيته في ذلك » .

وفي الشيعة في الميزان للشيخ محمد جواد مغنية / 170 : « قال كرد علي في الجزء الأول من خطط الشام : غزا سيف الدولة الروم أربعين

--------------------------- 56 ---------------------------

غزوة ، له وعليه ، وقد حفظ بغزواته بيضة العرب والإسلام ، ولولاه لتقدم الروم في بلاد الشام ، وربما استصفوها كلها بعد أن ضعف العباسيون . وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته . . الخ . » .

ووصف المتنبي تأثير حمايته لحدود الدولة الإسلامية ، فقال :

« كيف لا يأمن العراق ومصر \* وسراياك دونها والخيول

لو تحرفت عن طريق الأعادي \* ربط السدر خيلهم والنخيل

ودرى من أعزه النفع عنه \* فيهما إنه الحقير الذليل

أنت طول الحياة للروم غازٍ \* فمتى الوعد أن يكون القفول

وسوى الروم خلف ظهرك رومٌ \* فعلى أي جانيك تميل

قعد الناس كلهم عن مساعيك \* وقامت بها القنا والنصول

ما الذي عنده تدار المنايا \* كالذي عنده تدار الشمول

( أعيان الشيعة : 8 / 277 )

ومن شعر سيف الدولة في ولاية أمير المؤمنين ( عليه السلام ) :

« حب علي ابن أبي طالب \* للناس مقياسٌ معيار

يُخرج ما في أصلهم مثلما \* يخرج غش الذهب النار »

( أعيان الشيعة : 8 / 281 )

--------------------------- 57 ---------------------------

وهو يشير بذلك إلى الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) قال : بَوِّروا أولادكم بحب علي بن أبي طالب ! أي اختبروا طيب ولادتهم بحبه ، وقال جابر : كنا نبور أولادنا بحب علي ! » ( غريب الحديث لابن الجوزي : 1 / 90 ، والنهاية لابن الأثير : 1 / 161 ، ولسان العرب : 4 / 87 ، وتاج العروس : 10 / 257 ، وتهذيب اللغة للأزهري : 15 / 191 . ومجمع البيان : 9 / 177 ، ونهج الإيمان / 456 ، وأورد الأميني في الغدير : 4 / 322 ، بمعناه اثني عشر أثراً وحديثاً ) .

وقال في الشيعة في الميزان / 170 : « وخير ما قرأت في هذا الباب كتاب سيف الدولة وعصر الحمدانيين لسامي الكيالي ، وقدم له إسماعيل أحمد أدهم ، اقتطف من كلامهما القطعة التالية :

سيف الدولة أحد أبطال التاريخ ، وصاحب شخصية حافلة بالحياة والنشاط ، وذو نواح متعددة ، تتراقص على جنباتها المغامرة ، والشعر والسيف والقلم ، والبطولة والأدب ، فهو من الشخصيات التي تثير الإعجاب وتسترعي النظر . مر بتاريخ العرب في فترة كانت الفوضى تقتلها ، فنجح في أن يلجم الفوضى وأخرج منها نظاماً ، وخلق من ضعف العرب قوة ، وصمد لقوات الروم ، وقاد جموع العرب يذود عن دولته بحد سيفه .

قال غوستاف سيشلمبرجر : شغل سيف الدولة أذهان المؤرخين والكتاب والشعراء في القرن العاشر الميلادي ، فما أن تقرأ صفحة

--------------------------- 58 ---------------------------

لمؤرخ بيزنطي ، أو قطعة لكاتب من كتاب ذلك العصر ، أو قصيدة من قصائد شاعر من شعراء العرب أو اليونان ، حتى يستهويك الوصف والحديث عنه . لقد أقسم مؤرخ زار حلب في عصر سيف الدولة أن قصور الخلفاء في بغداد ، وقصور ملوك الروم في القسطنطينية كانت أقل بهاء من قصور سيف الدولة ، وأن الفنون على تباين أنواعها كانت مضطهدة في عاصمة المسيحية ، ولكنها كانت تنعم بتسامح كبير في عاصمة الحمدانيين وكان المصورون والمثالون من الروم يهربون من قيصر إلى سيف الدولة ، فيستقبلهم ويكرمهم ويشجعهم ويستفيد من عبقرياتهم .

وقال بروكلمن في تاريخ الشعوب الإسلامية : 2 / 91 : « ولئن كان سيف الدولة مديناً بما تم له من شهرة عريضة لنضاله الموفق ضد الروم في المحل الأول ، فليس من شك في أنه مدين بذلك في المحل الثاني لعطفه على الفنون والعلوم ، ورعايته لها .

وبالتالي فإن مدينة حلب في عهد سيف الدولة جمعت أكابر رجال ذلك العصر على اختلاف بلدانهم وتباين ثقافتهم ، كالفارابي ، والشريف أبي إبراهيم جد بني زهرة ، وابن نباتة ، والمتنبي ، والصنوبري ، وابن خالويه ، وابن جني ، والبكتمري ، والنامي ، وكشاجم ، وابن أبي الفياض وأبي الفرج العجلي ،

--------------------------- 59 ---------------------------

وكثيرين غيرهم من القضاة والنحويين والأدباء والشعراء والفنانين العرب وغير العرب .

ووصف ابن جبير المذاهب المتغلبة على الشام في القرن السادس فقال : للشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة ، وهم أكثر من السنيين بها ، وقد عموا البلاد بمذاهبهم . وحين أراد صلاح الدين الأيوبي الاستيلاء على حلب استنجد الوالي بأهلها وطلب منهم العون ، وأن يعبئوا أنفسهم تعبئة عامة ، فاشترط عليه الشيعة إن أجابوه أن يعيد في الأذان حي على خير العمل في جميع المساجد ، وينادي باسم الأئمة الاثني عشر أمام الجنائز ، ويكبر على الميت خمس تكبيرات ، ويفوض أمر العقود والأنكحة لشيخ الشيعة أبي المكارم حمزة بن زهرة ، فقبل الوالي ذلك كله » .

وفي أعيان الشيعة : 4 / 314 : « وحكى ابن خالويه عن أبي فراس أنه قال : طلب ملك الروم قسطنطين بن لاون الهدنة من سيف الدولة لما كثرت وقائعه بالروم ، واتصلت غزواته ، فأبى إلا بشروط قد بعد عهد الروم بمثلها ، فعند ذلك أراد ملك الروم أن يظهر لسيف الدولة قوته ، فهادن ملك الغرب ، وصرف من كان في جهته من العساكر ، لأن نصارى الغرب وملوكهم لم يكونوا مع ملك القسطنطينية على وفاق ، وهادن أيضاً ملك البلغار والروس

--------------------------- 60 ---------------------------

والترك والإفرنجة وسائر الأجناس ، واستنجدهم على حرب سيف الدولة وبعث عسكراً عظيماً بينهم رجل يسمى البركمونس وهو أخو الملكة زوجته ، وابن رومانوس الملك قبله ، وأنفق من الأموال ما يعظم قدره ، حتى قيل إنه أخرج اثني عشر ألف عامل لحفر الخندق حول عسكره ، يريد بذلك أن يقهر سيف الدولة أو يحمله على قبول الهدنة بالشروط التي يريدها ، وسار متوجهاً إلى ديار بكر ، وبلغ سيف الدولة خبره فجهز العساكر إلى ديار بكر ، وأقام هو في غلمانه ، واتفق أن الفرات زاد فمنع البركمونس من العبور ، فعدل إلى الشام ونزل على سميساط فافتتحها في بعض يوم ، ونزل على رعبان ، ونفر إليه سيف الدولة فيمن بقي معه ، وأمر أبا فراس بالتقدم فكان أبو فراس أول من لحق العسكر وأحسن البلاء وثبت يقاتل ، حتى استحر القتل وكثر الأسر في أصحابه ثم انصرف بباقيهم حتى خلصهم ، وأسر في هذه الوقعة أخواه ، ودق رمحين في تريبق الجزري رئيس الحرزيم ، وأسر تريبق بعض أصحاب أبي فراس ، فأرى تريبق ذلك الأسير الجراح التي فيه من أبي فراس ، وقال له : أكتب إلى صاحبك أبي فراس وقل له مثلك لا يتسمى في مثل ذلك اليوم ، ويعرفه الناس ، وذلك لأن أبا فراس كان حينما يطعن أو يضرب تريبق يتكنى ويتسمى

--------------------------- 61 ---------------------------

ويقول خذها وأنا فلان ، على عادة العرب في الحروب ، فأراد تريبق نصحه وإن كان عدوه بأن من كان مثله رئيساً شجاعاً واتراً لا يتسمى في مثل ذلك اليوم ، الذي هو فيه في عدد قليل ، وعدوه في عدد كثير فيعرفه الناس ويجتهدوا في قتله أو أسره متى عرفوه !

فقال أبو فراس في ذلك بيتين جميلين ، وكان اعتذاره فيهما عن تسمية اعتذاراً شعرياً طريفاً :

يعيب علي أن سميت نفسي \* وقد أخذ القنا منهم ومنا

فقل للعلج لو لم أسم نفسي \* لسماني السنان لهم وكنى

أي لو لم أتَكَنَّ لعرفوني بطعني وضربي » .

« بدأ غزو الروم ومحاربتهم وهو لا يتجاوز التاسعة عشر أو الحادية والعشرين ، ولم يكفَّ عن المعارك ، يباشرها بنفسه وراكباً أو ماشياً حتى وفاته ، أي مدة اثنتين وثلاثين سنة ، لا تمر عليه سنة إلا ويسير للحرب إما غازياً أو مدافعاً ، إما منتصراً أو منكسراً » ! ( أعيان الشيعة : 8 / 269 ) .

وتوفى سيف الدولة سنة 356 هجرية ، وخلفه ابنه أبو المعالي ، الذي لقبه الخليفة بعد عشر سنين بسعد الدولة . قال الزركلي في الأعلام : 3 / 162 ، ما خلاصته : كان سعد الدولة بن سيف الدولة في ميافارقين عندما توفي أبوه سنة 356 ، فجاء

--------------------------- 62 ---------------------------

إلى حلب وجلس على سرير أبيه ، وطمع الروم بحلب فغزوها ، فخاف سعد الدولة أن يُحصر فيها فخرج سنة 358 ، إلى ميافارقين بلد أمه ، ووكل غلامه قرغويه بحلب فلم يدافع عنها وعقد مع قائد الروم معاهدة مذلة للمسلمين ، فغضب سعد الدولة وانتقل إلى معرة النعمان فأقام ثلاث سنين ، ثم هاجم حلب ودخلها بعد أحداث وفي سنة 367 كتب إلى بغداد أنه في طاعتها ، فجاءته خلعة من الطائع العباسي مع لقب سعد الدولة .

وفي سنة 371 طالبه الدمستق بردس قائد جيش الروم بمال الهدنة فاتفق معه على 400 ألف درهم فضة كل سنة . لكن ملك الروم هاجم حلب سنة 373 بجيش كبير ، فصمد له سعد الدولة وانهزم الدمستق ، واستمر سعد الدولة قوياً مهاباً . ومات بعلة الفالج في حلب سنة 381 » .

وقال الذهبي في سيره : 16 / 189 : « وكانت دولته نيفاً وعشرين سنة ، وبقي بعده ابنه سعد الدولة في ولاية حلب خمساً وعشرين سنة » . لكن دولة الحمدانيين ضعفت بعد سيف الدولة ( رحمه الله ) .

--------------------------- 63 ---------------------------

3 - من شعر المتنبي في مدح سيف الدولة

اشتهر المتنبي بسيف الدولة واشتهر سيف الدولة بالمتنبي ، فقد عرَّفه عليه ابن عمه الشاعر أبو فراس الحمداني ، فأعجبه وأكرمه ولازمه المتنبي نحو ثماني سنين من سنة 337 إلى سنة 345 ، ورافقه في بعض غزواته إلى داخل بلاد الروم ، ووصف معاركه بقصائد بليغة كانت من عيون الشعر العربي .

وقد ترجم للمتنبي السيد الأمين في أعيان الشيعة ( 2 / 513 ) لأنه كان شيعياً كسيف الدولة ، نختار منها خلاصة :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي ، ولد بالكوفة في محلة كندة سنة 303 ، وكان والده من قبيلة جعفي وأمه من قبيلة همدان وكانت امرأة صالحة ، وقتل سنة 354 ، بضيعة قرب دير العاقول قرب النعمانية ، وهو عائدٌ من فارس إلى بغداد ودفن هناك .

قال يمدح سيف الدولة ، ويهنؤه بعيد الأضحى سنة 342 من قصيدة ، وأنشده إياها في ميدانه بحلب ، وهما على فرسيهما :

--------------------------- 64 ---------------------------

لكل امرئ من دهره ما تعودا \* وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً \* على الدر واحذره إذا كان مزبدا

تظل ملوك الأرض خاشعة له \* تارقه هلكى وتلقاه سجدا

وتحيي له المال الصوارم والقنا \* ويقتل ما تحيي التبسم والجدا

لذلك سمى ابن الدمستق يومه \* مماتا وسماه الدمستق مولدا

فولى وأعطاك ابنه وجيوشه \* جميعا ولم يعط الجميع ليحمدا

وما طلبت زرق الأسنة وغيره \* ولكن قسطنطين كان له الفدى

فأصبح يجتاب المسوح مخافة \* وقد كان يجتاب الدلاص المسردا

ويمشي به العكاز في الدير تائبا \* وما كان يرضى مشي أشقر أجردا

وما تاب حتى غادر الكر وجهه \* جريحا وخلى جفنه النقع أرمدا

هنيئا لك العيد الذي أنت عيده \* وعيد لمن سمى وضحى وعيدا

فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى \* كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا

هو الجد حتى تفضل العين أختها \* وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه \* تصيده الضرغام فيما تصيدا

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم \* ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته \* وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى \* مضر كوضع السيف في موضع الندا

وما الدهر إلا من رواة قصائدي \* إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

--------------------------- 65 ---------------------------

فسار به من لا يسير مشمرا \* وغنى به من لا يغني مغردا

ودع كل صوت غير صوتي فإنني \* أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

تركت السرى خلفي لمن قل ماله \* وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

وقيدت نفسي في ذراك محبة \* ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

وقال يمدح سيف الدولة وقد سار لبناء مدينة الحدث الحمراء لحمرة بيوتها ، وقلعتها على جبل الأحيدب ، وذكر إيقاعه فيها بالدمستق ملك الروم وأسره صهره وابن بنته ، وأقام سيف الدولة إلى أن بناها ، فأنشده المتنبي يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة 343 ، قصيدته التي منها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

\* وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها \* وتصغر في عين العظيم العظائم

يكلف سيف الدولة الجيش همه \* وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

ويطلب عند الناس ما عند نفسه \* وذلك ما لا تدعيه الضراغم

هل الحدث الحمراء تعرف لونها \* وتعلم أي الساقيين الغمائم

سقتها الغمام الغر قبل نزوله \* فلما دنا منها سقتها الجماجم

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا \* وموج المنايا حولها متلاطم

وكان بها مثل الجنون فأصبحت \* ومن جثث القتلى عليها تمائم

طريدة دهر ساقها فرددتها \* على الدين بالخطى والدهر راغم

تفيت الليالي كل شئ أخذته \* وهن لما يأخذن منك غوارم

--------------------------- 66 ---------------------------

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعا \* مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

أتوك يجرون الحديد كأنما \* أتوا بجياد ما لهن قوائم

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه \* وفي أذن الجوزاء منه زمازم

تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا \* وفر من الفرسان من لا يصادم

وقفت وما في الموت شك لواقف \* كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة \* ووجهك وضاح وثغرك باسم

ضممت جناحيهم على القلب ضمة \* تموت الخوافي تحتها والقوادم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب \* وصار إلى اللبات والنصر قادم

حقرت الردينيات حتى طرحتها \* وحتى كان السيف للرمح شاتم

ومن طلب الفتح الجليل فإنما \* مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة \* كما نثرت فوق العروس الدراهم

تظن فراخ الفتخ انك زرتها \* بإماتها وهي العتاق الصلادم

إذا زلقت مشيتها ببطونها \* كما تتمشى في الصعيد الأراقم

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم \* قفاه على الاقدام للوجه لائم

وقد فجعته بابنه وابن صهره \* وبالصهر حملات الأمير الغواشم

ولست مليكا هازما لنظيره \* ولكنك التوحيد للشرك هازم

تشرف عدنان به لا ربيعة \* وتفتخر الدنيا به لا العواصم

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً \* ولا فيه مرتاب ولا منه عاصم

--------------------------- 67 ---------------------------

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلى \* وراجيك والإسلام أنك سالم

ولما بلغ المتنبي إلى قوله فيها : وقفت وما في الموت والبيت الذي بعده ، قال سيف الدولة : قد انتقدتهما عليك : كما أنتقد على امرئ القيس قوله :

كأني لم أركب جوادا لغارة \* ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبا الزق الروي ولم أقل \* لخيلي كري كرة بعد إجفال

فبيتاك لم يلتئم شطراهما ، كما لم يلتئم شطراً بيتي امرئ القيس ، وكان ينبغي له أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل \* لخيلي كري كرة بعد أجفال

ولم أسبا الزق للروي للذة \* ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

وكان ينبغي لك أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف \* ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة \* كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي : إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا وهو أعلم بالشعر منه ، قد أصاب فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعرفه الحائك ، فإن البزاز يعلم جملته والحائك يعرف تفاصيله ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، والشجاعة في منازلة الأعداء بالسماحة في شرائه الخمر للأضياف ، وأنا

--------------------------- 68 ---------------------------

كذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول ، أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ، ولما كان وجه الجريح المنهزم عبوساً وعينه باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم ، لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمس مائة دينار .

وعبَر سيف الدولة نهر آلس في بلاد الروم وهو نهر عظيم ونزل على صارخة وخرشنة وهما مدينتان بالروم فأحرق ربضهما وكنائسهما وقفل غانماً ، فلما صار على آلس راجعاً وافاه الدمستق ملك الروم فصافه الحرب فهزمه وأسر بطارقته وقتل ، ثم سار فواقعه في موضع آخر فهزمه أيضاً ، ثم واقعه على نهر آخر وقد ملَّ أصحابه السفر وكلُّوا من القتال فانهزموا ، واجتاز أبو الطيب ليلاً بقطعة من الجيش نيام بين قتلى ، فقال يذكر الحال وما جرى في الدرب من الخيانة :

غيري بأكثر هذا النوع ينخدع \* إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

ليس الجمال لوجه صح مارنه \* أنف العزيز بقطع العز يجتدع

وفارس الخيل من خفت فوقرها \* في الدرب والدم في اعطافه دفع

بالجيش تمتنع السادات كلهم \* والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع

--------------------------- 69 ---------------------------

قاد المقانب أقصى شربها نهل \* على الشكيم وأدنى سيرها سرع

حتى أقام على أرباض خرشنة \* تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا \* والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

تغدو المنايا فلا تنفك واقفة \* حتى يقول لها عودي فتندفع

قل للدمستق ان المسلمين لكم \* خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا

لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق \* فليس يأكل إلا الميتة الضبع

فكل غزو إليكم بعد ذا فله \* وكل غاز لسيف الدولة التبع

تمشي الكرام على آثار غيرهم \* وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع

وهل يشينك وقت كنت فارسه \* وكان غيرك فيه العاجز الضرع

من كان فوق محل الشمس موضعه \* فليس يرفعه شئ ولا يضع

إن السلاح جميع الناس تحمله \* وليس كل ذوات المخلب السبع

وأراد سيف الدولة قصد خرشنة فعاقه الثلج ، فقال المتنبي :

عواذل ذات الخال في حواسد \* وإن ضجيع الخود مني لماجد

يرد يداً عن ثوبها وهو قادر \* ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشا \* محب لها في قربه متباعد

إذا كنت تخشى العار في كل خلوة \* فلم تتصباك الحسان الخرائد

ألح علي السقم حتى ألفته \* ومل طبيبي جانبي والعوائد

--------------------------- 70 ---------------------------

مررت على دار الحبيب فحمحمت \* جوادي وهل تشجي الجياد المعاهد

وما تنكر الدهماء من رسم منزل \* سقتها ضريب الشول فيه الولائد

أهم بشئ والليالي كأنها \* تطاردني عن كونه وأطارد

وحيد من الخلان في كل بلدة \* إذا عظم المطلوب قل المساعد

وتسعدني في غمرة بعد غمرة \* سبوح لها منها عليها شواهد

تثنى على قدر الطعان كأنما \* مفاصلها تحت الرماح مراود

وأورد نفسي والمهند في يدي \* موارد لا يصدرن من لا يجالد

ولكن إذا لم يحمل القلب كفه \* على حالة لم يحمل الكف ساعد

خليلي اني لا أرى غير شاعر \* فلم منهم الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة \* ولكن سيف الدولة اليوم واحد

له من كريم الطبع في الحرب منتض \* ومن عادة الاحسان والصفح غامد

ولما رأيت الناس دون محله \* تيقنت أن الدهر للناس ناقد

أحقهم بالسيف من ضرب الطلى \* وبالأمن من هانت عليه الشدائد

وتضحي الحصون المشمخرات في \* الذرى وخيلك في أعناقهن قلائد

أخو غزوات ما تغب سيوفه \* رقابهم إلا وسيحان جامد

بذا قضت الأيام ما بين أهلها \* مصائب قوم عند قوم فوائد

وكل يرى طرق الشجاعة والندي \* ولكن طبع النفس للنفس قائد

نهبت من الأعمار ما لو حويته \* لهنئت الدنيا بأنك خالد

--------------------------- 71 ---------------------------

فأنت حسام الملك والله ضارب \* وأنت لواء الدين والله عاقد

وقال يمدحه وقد ورد عليه رسول ملك الروم يلتمس الفداء من قصيدة :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي \* وللحب ما لم يبق مني وما بقي

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه \* ولكن من يبصر جفونك يعشق

وبين الرضى والسخط والقرب والنوى \* مجال لدمع المقلة المترقرق

وغضبي من الإدلال سكرى من الصبا \* شفعت إليها من شبابي بريق

وأشنب معسول الثنيات واضح \* سترت فمي عنه فقبل مفرقي

واجيان غزلان كجيدك زرتني \* فلم أتبين عاطلا من مطوق

سقى الله أيام الصبى ما يسرها \* ويفعل فعل البابلي المعتق

ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهم \* بعثن بكل القتل من كل مشفق

أدرن عيونا حائرات كأنها \* مركبة احداقها فوق زئبق

عشية يعدونا عن النظر البكا \* وعن لذة التوديع خوف التفرق

نودعهم والبين فينا كأنه \* قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

قواض مواض نسج داود عندها \* إذا وقعت فيه كنسج الخدرنق

تقد عليهم كل درع وجوشن \* وتفري إليهم كل سور وخندق

يغير بها بين اللقان وواسط \* ويركزها بين الفرات وجلق

رأى ملك الروم ارتياحك للندى \* فقام مقام المجتدي المتملق

وخلى الرياح السمهرية صاغرا \* لا درب منه بالطعان وأحذق

وكاتب من ارض بعيد مرامها \* قريب على خيل حواليك سبق

وقد سار في مسراك منها رسوله \* فما سار إلا فوق هام مفلق

--------------------------- 72 ---------------------------

فلما دنا أخفى عليه مكانه \* شعاع الحديد البارق المتالق

واقبل يمشي في البساط فما درى \* إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

وكنت إذا كاتبته قيل هذه \* كتبت إليه في قذال الدمستق

فان تعطه منك الأمان فسائل \* وإن تعطه حد الحسام فاخلق

بلغت بسيف الدولة النور رتبة \* أنرت بها ما بين غرب ومشرق

إذا شاء ان يلهو بلحية أحمق \* أراه غباري ثم قال له الحق

وما كمد الحساد شئ قصدته \* ولكنه من يزحم البحر يغرق

واطراق طرف العين ليس بنافع \* إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

فيا أيها المطلوب جاوره تمتنع \* ويا أيها المحروم يممه ترزق

وقال يمدحه بعد دخول رسول ملك الروم إليه :

دروع لملك الروم هذي الرسائلُ \* يرد بها عن نفسه ويشاغلُ

أرى كل ذي ملك إليك مصيره \* كأنك بحر والملوك جداول

إذا مطرت منهم ومنك سحائب \* فوابلهم طلُّ وطلك وابل

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر \* ضعيفٌ يقاويني قصيٌر يطاول

وأتعب من ناداك من لا تجيبه \* وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وما التيه طبي فيهم غير أنني \* بغيض إليَّ الجاهل المتعاقل

\* \*

--------------------------- 73 ---------------------------

الفصل السادس : من أعلام بني تغلب

1 - من أعلامهم الزعماء والعلماء

1 : عبد الله بن حمدان : أبو الهيجاء ، والد سيف الدولة وناصر الدولة ، وهو أول من تولى الموصل من الأمراء الحمدانيين ، ولاه المكتفي العباسي سنة 293 . ( الكامل في التاريخ : 7 / 539 ) .

ثم عزله المقتدر العباسي ، فعاد إلى بغداد ، ثم خلع عليه المقتدر وأعاده والياً عليها في السنة التالية . ( الكامل : 8 / 90 ) .

وفي سنة 312 تولى حراسة أمر الحجاج ، فاعترضهم القرامطة في عودتهم ، فوقع أبو الهيجاء أسيراً في أيديهم . ( الكامل : 4 / 148 ) .

ثم تولى صد هجوم القرامطة عن الأنبار سنة 315 . ( الكامل : 8 / 172 ) .

وقتل سنة 317 في فتنة خلع المقتدر العباسي . ( الكامل : 8 / 200 ) .

--------------------------- 74 ---------------------------

ومن أهم إنجازاته بناء القبة الشريفة على ضريح الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) . ( نزهة المشتاق للشريف الإدريسي : 1 / 382 ) .

2 : الحسن بن عبد الله بن حمدان : ناصر الدولة ، أبو محمد ، صاحب الموصل ، حكمها مدة اثنين وثلاثين سنة . ( الأعلام : 2 / 195 ) وهو أخ سيف الدولة وأكبر منه سناً ، وأقدم منزلة عند الخلفاء ، وكان في خدمة الشيخ الأجل محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، يستفيد أصول الدين وفروعه ، وصنف الشيخ باسمه رسالة في الإمامة . ( أعيان الشيعة : 5 / 136 ) .

وقد خاض الحسن حروباً في تلك الفترة التي نشبت فيها الصراعات بين حكام المقاطعات ، وصار حكام بني العباس لا يملكون لأنفسهم أمراً ، وانتشر السلب والنهب وقطع الطرق ، وكان ناصر الدولة أحد القادة الأفذاذ ، الذين أمنوا السبل ، واستقامت الأمور .

ثم ولي الحسن بن حمدان ديار ربيعة ، ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين وميافارقين وأرزن ، وضمن ذلك بمال معلوم . ( الكامل في التاريخ : 8 / 217 ) .

--------------------------- 75 ---------------------------

ثم كان الحسن إلى جانب الخليفة المقتدر عندما ثار عليه مؤنس الخادم . وكان « شديد المحبة لأخيه سيف الدولة ، وتغير أحواله بعد وفاته وساءت أخلاقه ، وضعف عقله ، فسيره أولاده إلى قلعة أردمشت ، ومات بها سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة ، ودفن بتل توبة شرقي الموصل . وكانت مدة إمارته اثنتين وثلاثين سنة » . ( الوافي بالوفيات : 12 / 57 ) .

3 : الحسن بن علي بن الحسين بن حمدان : أبو العشائر ، وهو ابن عم أبي فراس الحمداني وأب زوجته ، وهو من مشاهير أمراء بني حمدان ، وكان شاعراً مجيداً ، وللمتنبي والسري الرفاء وأبي فراس فيه مدائح كثيرة . وهو الذي عرَّف المتنبي على سيف الدولة ، وله معه قصص . وكان والياً على أنطاكيا وكان يغزو الروم فوقع أسيراً وبقي في أسرهم حتى مات هناك ، فرثاه أبو فراس :

أأبا العشائر لا محلك دارس \* بين الضلوع ولا مكانك نازح

إني لأعلم بعد موتك أنه \* ما مدَّ للإسراء يوم صالح

( أعيان الشيعة : 6 / 106 )

4 : سعيد بن حمدان : والد الشاعر أبي فراس ، فارس شجاع كان أميراً في نهاوند ( الكامل : 8 / 157 ) ثم عهد له المقتدر العباسي سنة 315

--------------------------- 76 ---------------------------

بصد غزو القرامطة لمنطقة هيت فحماها منهم ( الكامل : 8 / 173 ) ، ثم عين والياً على النهروان وواسط . ( صلة تاريخ الطبري / 102 ) .

ثم كلف بمهام في بغداد ، ثم ولاه المقتدر الموصل وديار ربيعة وشرط عليه غزو الروم ، وأن يستنقذ ملطية منهم ، فسار منها إلى ملطية ، وبها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمني ومعهم بني بن نفيس صاحب المقتدر ، وكان قد تنصر وهو مع الروم ، فخافوا من سعيد فأخلوها ودخلها سعيد ، واستخلف عليها أميراً . ثم غزا بلاد الروم في شوال من تلك السنة المذكورة ، وقتل منهم كثيراً . ( الكامل : 8 / 235 ) .

ثم انتدبه المقتدر العباسي سنة 320 لقتال مؤنس الخادم عندما تمرد في الموصل وسار إلى بغداد ، فالتقى معه قرب تكريت ، وقتل في هذه المعركة أخوه داود بن حمدان ( الكامل : 8 / 241 ) .

وسعيد بن حمدان هو أول من بني قبر الصحابي الشهيد عمرو بن الحمق الخزاعي في الموصل . ( أسد الغابة : 4 / 101 )

5 : سليمان بن حمدان بن حمدون : من شجعان بني حمدان ، شارك في حروبهم ، وقال عنه ابن خالويه : كان أبو الوليد سليمان بن

--------------------------- 77 ---------------------------

حمدان شيخ بني حمدان ، وصاحب الغلب في كل وقعة ، ولعلو شأنه سمي الحرون لذلك ، وفيه يقول أبو فراس :

وعمي الحرون عند قلب كل كتيبة \* تخف الجبال وهو للموت صابر

( أعيان الشيعة : 7 : 297 )

6 : مهلهل بن نصر بن حمدان : أبو زهير ، شهد مع سيف الدولة سنة 339 فتح حصن العيون والصفصاف ، واستشهد في تلك الغزوة ببلاد الروم . ( أعيان الشيعة : 10 / 167 )

وفي ذلك يقول المهلهل :

لقد سخنت عيون الروم لما \* فتحنا عنوة حصن العيون

ودوخنا بلادهم بجرد \* سواهم شزب قب البطون

عليها من ربيعة كل قرم \* فقيد المثل ليس بذي قرين

وبالصفصاف جرعنا علوجاً \* شداداً منهم كأس المنون

( معجم البلدان : 2 / 256 و : 3 / 413 )

6 : هبة الله بن الحسن : أبو القاسم بن ناصر الدولة ، كان والياً على حران من قبل أخيه ، وعهد إليه سنة 362 قتال الروم بناحية ميافارقين ، فطمع به الدمستق ملك الروم ، وكان الدمستق في

--------------------------- 78 ---------------------------

كثرة لكن أولاد ناصر الدولة لقوه في مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غير أهبة ، فانهزموا ، وأخذوا الدمستق أسيراً ولم يزل محبوساً إلى أن مرض سنة 363 ، فبالغ أبو تغلب في علاجه وجمع الأطباء له فلم ينفعه ذلك ، ومات . ( الكامل في التاريخ : 8 / 628 ) .

7 : أبو الفضائل بن شريف : تولى إمارة حلب بعد أبيه شريف بن سيف الدولة سنة 381 ، وكان بكفالة لؤلؤ التركي غلام سيف الدولة . فطمع وزير العزيز الفاطمي في حلب فسير إليها جيشاً في ثلاثين ألفاً عليهم منجوتكين التركي ، فكاتَبَ لؤلؤ كاتِب بسيل ملك الروم ، في النجدة على المصريين ، وبعث إليه بهدايا وتحف ، فوصل كتابه وملك الروم يقاتل ملك البلغار ، فبعث إلى نائبه بأنطاكية يأمره بإنجاد لؤلؤ فسار في خمسين ألفاً حتى نزل على العاصي بين أنطاكية وحلب ، فلما بلغ ذلك منجوتكين قصد الروم فنصر الله المسلمين وانهزم الروم ، وتبعهم منجوتكين إلى أنطاكية فأحرق ونهب ضياعها . وعاد منجوتكين إلى حلب فحصرها فعلم لؤلؤ فكاتب منجوتكين وأرغبه في المال ، فقبلوا ورحلوا ، فبلغ العزيز ذلك فشق عليه ، فأرجع منجوتكين في

--------------------------- 79 ---------------------------

السنة التالية فحاصر حلب ثلاثة عشر شهراً فقلَّت الأقوات واشتد الحصار على لؤلؤ وأبي الفضائل ، فكاتبا ملك الروم ثانياً ، وكان قد توسط بلاد البلغار فجاء بنفسه في مائة ألف ، فلما قرب من البلاد أرسل لؤلؤ إلى منجوتكين يقول : إن الإسلام جامع بيني وبينك وأنا ناصح لكم وقد وافاكم ملك الروم بجنوده . فسار إلى دمشق ووصل ملك الروم فنزل على باب حلب ، وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ ثم عادا إلى حلب . ورحل بسيل إلى الشام ففتح حمص وشيزر ونهب وأسر ونازل طرابلس نيفا وأربعين يوماً فامتنعت عليه فعاد إلى بلاده . ولما بلغ الخبر العزيز عظم عليه ونادى في الناس بالنفير لغزو الروم وبرز من القاهرة وحدثت به أمراض منعته وأدركه الموت . ثم إن لؤلؤا دس السم إلى أبي الفضائل على يد زوجته بنت لؤلؤ ، فسمته فمات سنة 391 ، وقام مقامه ولداه أبو الحسن علي وأبو المعالي شريف أياماً ، ثم حملا إلى مصر ، وبهما ختمت سلطنة آل حمدان ، وحكم لؤلؤ حلب حتى توفي سنة 399 . ( أعيان الشيعة : 2 / 396 ) .

--------------------------- 80 ---------------------------

8 : الحسن بن الحسين بن عبد الله : الأمير المعروف بناصر الدولة وسيفها ذو المجدين ، المقتول بمصر سنة 465 ، وهو من أحفاد ناصر الدولة . ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر العلوي صاحب مصر سبع سنين ثم استدعاه إلى مصر ( تاريخ دمشق : 13 / 77 ) وارتفع مقامه عند المستنصر الفاطمي حتى صار من كبار القادة ، إلى أن قتل سنة 465 ه‍ في فتنة داخلية نشبت بين الأتراك والعبيد فقتله القادة الأتراك ( الكامل : 10 / 80 ) . وبموته انتهى ملك بني حمدان .

9 : عبد الأعلى بن حصين التغلبي : تابعي يروي عن وقاص عن سلمان الفارسي ، وعن أنس بن مالك وعن أبيه . وقع في طريق خبر الطائر المشوي المشهور في فضائل أمير المؤمنين ( عليه السلام ) . ( مناقب علي بن أبي طالب ، وما نزل في علي من القرآن : لابن مردويه الأصفهاني : 141 )

10 : عبد السلام بن أحمد بن علي بن حبة الخزاز : من شيوخ الشريف محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري ، صاحب كتاب فضل زيارة الحسين . ( فضل زيارة الحسين : ابن الشجري : 15 )

--------------------------- 81 ---------------------------

11 : الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون : الكاتب ، من نسل سيف الدولة بن حمدان . عاش في المدائن وتوفي سنة 608 ، ودفن عند الإمام موسى بن جعفر ( عليه السلام ) .

كان من الأدباء العلماء طاهر الأخلاق ، حسن الصورة ، محباً للكتب واقتنائها ، ثم تقاعد به الدهر فأخذ يبيعها وهو يبكي عليها كالمفجوع بأحبائه . ألف كتباً ولم يجسر على أظهارها خوفاً من محيطه المخالف لمذهبه . وكان آخر من بقي من هذا البيت ، ولم يخلف إلا ابنة يسمى زوجها ابن الدوامي . ( أعيان الشيعة : 5 / 247 ) .

2 - من أعلامهم الرواة

1 : حصين التغلبي : روى عن أسماء بنت عميس أن النبي ( صلى الله عليه وآله ) قال : أقول كما قال أخي موسى : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . علياً أخي ( شواهد التنزيل : 1 / 482 . ) . وسأل الإمام الباقر ( عليه السلام ) عن المهدي ( عجل الله تعالى فرجه الشريف ) . ( معجم أحاديث الإمام المهدي : 3 / 235 ) .

--------------------------- 82 ---------------------------

2 : حفص بن عمرو بن بيان التغلبي : من أصحاب الصادق ( عليه السلام ) ( رجال الطوسي : 189 )

3 : أبو المرجى بن محمد بن المعمر التغلبي : روى عنه النعماني في كتاب الغيبة نص الإمام الصادق على الكاظم ( عليهما السلام ) . ( النعماني / 348 )

4 - جندل بن والق بن هجرس : وثقه ابن حبان في الثقات : 8 / 168 ، روى عنه أبو زرعة وأهل العراق ، روى عنه الصدوق في العلل ( 1 / 1779 ) علة تسمية فاطمة الزهراء ، وفي المناقب لمحمد بن سليمان / 300 ذم معاوية عن أبي سعيد . مات سنة 226 ه - . ( معجم الرجال والحديث : 2 / 35 ) .

5 - حبيب بن الحسين التغلبي : من شيوخ والد الصدوق ( رحمه الله ) روى عنه زيارة الإمام الصادق لأمير المؤمنين ( عليهما السلام ) . ( دلائل الإمامة / 459 )

6 - إبراهيم بن الحسن التغلبي : روى عنه الحسكاني حديث تصدق علي ( عليه السلام ) بالخاتم بثلاث وسائط ، عن جابر . ( شواهد التنزيل : 1 / 225 ) .

7 - أحمد بن التغلبي : روى عنه الصدوق احتجاج أمير المؤمنين ( عليه السلام ) على أبي بكر . ( الخصال / 548 ) .

8 - إسماعيل بن محمد التغلبي : روى عنه الصدوق في علل الشرائع في فضل الحجر الأسود . ( علل الشرائع : 428 )

--------------------------- 83 ---------------------------

9 - 12 - ومن أصحاب الصادق ( عليه السلام ) الذين ذكرهم الشيخ الطوسي في رجاله : الفضيل بن فضالة ، ومحمد بن الأسود التغلبي ، ومحمد بن زهير التغلبي ، ومحمد بن طارق التغلبي .

13 - محمد بن يحيى بن أبي مرة : « قال : مررت بجعفر بن عفان الطائي فرأيته على باب منزله فسلمت عليه فقال : مرحباً بك يا أخا تغلب ، أجلس فجلست إليه ، فقال : ألا تعجب من مروان بن أبي حفصة شاعر بني العباس :

أنى يكون وليس ذاك بكائن \* لبني البنات وراثة الأعمام

فقلت : والله إني لأتعجب منه وأُكثر لعنَه لذلك ! فهل قلت في ذلك شيئاً ؟ فقال : نعم قلت فيه :

لم لا يكون وإن ذاك لكائنٌ \* لبني البنات وراثة الأعمامِ

للبنت نصفٌ كاملٌ من ماله \* والعم متروكٌ بغير سهام

ما للطليق وللتراث وإنما \* صلى الطليق مخافة الصمصام »

( أعيان الشيعة : 4 / 129 ) .

وسبب هذه الأبيات أن العباسيين ادعوا أنهم أولى بإرث النبي ( صلى الله عليه وآله ) من بني علي وفاطمة ( عليهما السلام ) ، لأن العم أولى من البنت ! فأجابهم التغلبي ( رحمه الله ) بأن العم خارجٌ من الإرث في الإسلام مع وجود الأبناء والبنات . والعباس خارج من الإرث المعنوي للنبي ( صلى الله عليه وآله ) لأنه لم يهاجر فانفصمت ولايته ، بل هو طليق لأنه خرج مع المشركين لحرب النبي في بدر ، وأسر وأطلق .

--------------------------- 84 ---------------------------

3 - من أعلامهم الشعراء

1 : عمرو بن كلثوم العتابي : أحد الشعراء الجاهليين الكبار من أصحاب المعلقات ، كان فارساً شجاعاً ساد قومه ، وهو الذي قتل عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة . ( الأعلام : 5 / 84 )

2 : المهلهل بن ربيعة : الملقب بالزير سالم ، واسمه عدي بن ربيعة بن مرة ، وهو الذي هيج حرب البسوس مع بني شيبان بعد مقتل أخيه كليب ، وهو خال الشاعر امرئ القيس . ( المصدر السابق : 4 / 220 ) .

3 : غياث بن غوث : الأخطل التغلبي ، شاعر نصراني مدح ملوك بني أمية ونادمهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق . ( المصدر : 5 / 123 ) .

4 : الحارث بن سعيد : أبو فراس الحمداني ، من بطن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ، وهو من فرسان السيف والقافية ، قال الثعالبي في يتيمة الدهر ( 1 / 75 ) « كان فرد دهره وشمس عصره ، أدباً وفضلاً وكرماً ونبلاً ومجداً وبلاغةً وبراعةً وفروسيةً وشجاعة . وشعره مشهور سائر بيِّن الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . وكان الصاحب ( بن عباد ) يقول بدء

--------------------------- 85 ---------------------------

الشعر بملك وختم بملك ، يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ، ولا يجترئ على مجاراته » .

ولد أبو فراس في بيت أدب ورئاسة سنة 320 ، وكان في الثالثة من عمره حين قتل والده في صراع على السلطة مع أعمامه . ونشأ أبو فراس يتيماً يعطف عليه ابن عمه سيف الدولة علي بن حمدان . وعندما حكم حلب اصطحبه معه ليتمرس في العلم والأدب والفروسية ، فحضر مجالس الفارابي ، والمتنبي ، والسري بن أحمد الموصلي ، وأبي الفرج الببغاء ، وأبي الفرج الوأواء وأبي اسحق ، وإبراهيم بن هلال الصابي . واصطحبه سيف الدولة في غزواته وأعطاه إمارة منبج ، فكان يغزو الروم ، فنصبوا له كميناً وأسروه سنة 351 ، فطلبه ملكهم الدمستق فدية ثقيلة ، فطال أسره أربع سنوات ، ونظم في الأسر قصائده الروميات ، ثم فداه سيف الدولة بمال عظيم .

ومن أشهر قصائد أبي فراس ميميته في ظلامة أهل البيت ( عليهم السلام ) :

الحق مهتضمٌ والدين مخترمُ

\* وفَيْئُ آل رسول الله مقتسمُ

بنو عليٍّ رعايا في ديارهم \* والأمر تملكه النسوان والخدم

محلؤون فأصفى شربهم وشلٌ \* عند الورود وأوفى ودهم لمم

--------------------------- 86 ---------------------------

فالأرض إلا على ملاكها سعة \* والمال إلا على أربابه ديم

فما السعيد بها إلا الذي ظلموا \* وما الشقي بها إلا الذي ظلموا

للمتقين من الدنيا عواقبها \* وإن تعجل منها الظالم الأثِم

أتفخرون عليهم لا أباً لكم \* حتى كأن رسول الله جدكم

ولا تَوازن فيما بينكم شرفٌ \* ولا تساوت لكم في موطنٍ قدم

ولا لكم مثلهم في المجد متصل \* ولا لجدكم معاشر جدهم

ولا لعرقكم من عرقهم شبَهٌ \* ولا نثيلتكم من أمهم أمَمُ

قام النبي بها يوم الغدير لهم \* والله يشهد والأملاك والأمم

حتى إذا أصبحت في غير صاحبها \* باتت تنازعها الذؤبان والرخم

وصيروا أمرهم شورى كأنهم \* لا يعرفون ولاة الحق أيهم

تالله ما جهل الأقوام موضعها \* لكنهم ستروا وجه الذي علموا

ثم ادعاها بنو العباس ملكهم \* ولا لهم قَدمٌ فيها ولا قِدم

لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا \* ولا يحكم في أمر لهم حكم

ولا رآهم أبو بكر وصاحبه \* أهلا لما طلبوا منها وما زعموا

فهل هم مدعوها غير واجبة \* أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا

أما علي فأدنى من قرابتكم \* عند الولاية إن لم تُكفر النعم

أينكر الحبر عبد الله نعمته \* أبوكم أم عبيد الله أم قثم

بئس الجزاء جزيتم في بني حسن \* أباهم العلم الهادي وأمهم

--------------------------- 87 ---------------------------

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم \* ولا يمين ولا قربى ولا ذمم

هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب \* للصافحين ببدر عن أسيركم ( 1 ) < هامش > ( 1 ) يقصد جدهم العباس الذي كان مع المشركين في بدر فأسره المسلمون . وعلية بنت المهدي العباسي ، أخت هارون الرشيد كانت مغنية . وأخوها إبراهيم بن المهدي ، كان أسود مغنياً . < / هامش >

هلا كففتم عن الديباج سوطكم \* وعن بنات رسول الله شتمكم

ما نزهت لرسول الله مهجته \* عن السياط فهلا نزه الحرم

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت \* تلك الجرائر إلا دون نيلكم

كم غدرة لكم في الدين واضحة \* وكم دم لرسول الله عندكم

أنتم له شيعة فيما ترون وفي \* أظفاركم من بنيه الطاهرين دم

هيهات لا قربت قربى ولا رحم \* يوما إذا أقصت الأخلاق والشيم

كانت مودة سلمان له رحما \* ولم يكن بين نوح وابنه رحم

يا جاهدا في مساويهم يكتمها \* غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا \* مأمونكم كالرضا لو أنصف الحكم

ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت \* عن ابن فاطمة الأقوال والتهم

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته \* وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا

يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت \* ومعشرا هلكوا من بعد ما سلموا

لبئسما لقيت منهم وإن بليت \* بجانب الطف تلك الأعظم الرمم

أبلغ لديك بني العباس مألكة \* لا يدعوا ملكها ، ملاكها العجم

أي المفاخر أمست في منازلكم \* وغيركم آمر فيها ومحتكم

--------------------------- 88 ---------------------------

أنى يزيدكم في مفخر علم \* وفي الخلاف عليكم يخفق العلم

يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم \* لمعشر بيعهم يوم الهياج دم

خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا \* يوم السؤال وعمالين إن عملوا

لا يغضبون لغير الله إن غضبوا \* ولا يضيعون حكم الله إن حكموا

تنشى التلاوة في أبياتهم سحرا \* وفي بيوتكم الأوتار والنغم

منكم علية أم منهم ؟ وكان لكم \* شيخ المغنين إبراهيم أم لهم

إذا تلوا سورة غنى إمامكم \* قف بالطلول التي لم يعفها القدم

ما في بيوتهم للخمر معتصر \* ولا بيوتكم للسوء معتصم

ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم \* ولا يرى لهم قرد ولا حشم

الركن والبيت والأستار منزلهم \* وزمزم والصفا والحجر والحرم

وليس من قسم في الذكر نعرفه \* إلا وهم غير شك ذلك القسم

\*

5 : عمير بن شييم القطامي : شاعر غزل أدرك الأخطل صغيراً . ( المصدر السابق : 5 : 88 )

6 : كعب بن جعيل : مخضرم ، كان في صفين شاعر معاوية .

7 : الأخنس بن شهاب : جاهلي شجاع ، حضر حرب البسوس .

8 : جابر بن حنَّه بن حارثة : طاف ببادية العراق وذكرها في شعره ، وصحب امرئ القيس في سفره إلى بلاد الروم .

--------------------------- 89 ---------------------------

9 : عمرو بن الأيهم : عاصر الأخطل ، وحضر حرب تغلب وقيس .

10 : النابغة التغلبي الحارث بن عدوان . ( خزانة الأدب : 2 / 122 ) .

11 - أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي ، ابن الخياط الدمشقي : شاعر مجيد طاف بالبلاد ، له ديوان طبع في النجف سنة 1343 . توفي سنة 517 . ( الذريعة : 9 ق 1 / 21 ) ( وفيات الأعيان : 1 / 145 ) .

4 - من أعلامهم العلماء

كان التشيع المذهب السائد في حلب وضواحيها إلى الموصل . قال محمد كرد علي في خطط الشام : « وكان حكم بني حمدان وهم شيعة ، من جملة الأسباب الداعية إلى تأصل التشيع في الشمال ، ولا يزال على حائط صحن المدفن الذي في سفح جبل جوشن بظاهر حلب ذكر الأئمة الاثني عشر ، وقد خرب الآن » . ( غنية النزوع : 10 ) .

وبرز في حلب علماء وأسر علمية ، منهم آل زهرة نقباء السادة في حلب ، وكبيرهم أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحلبي .

ومن علماء حلب أحمد بن إسماعيل بن أحمد الجلي الحلبي ، وابنه إسماعيل . وأبو طاهر إبراهيم بن سعيد بن خشاب الحلبي ، وأبو علي الحسن بن أحمد بن علي بن المعلم الحلبي . والحسن بن بشار الحلبي . والحسين بن حمدان بن

--------------------------- 90 ---------------------------

الخصيب الخصيبي ، وقد عاصر سيف الدولة ، والشيخ علي بن الحسن بن أبي المجد الحلبي صاحب كتاب إشارة السبق لمعرفة الحق .

وظهر من الحمدانيين علماء ، منهم محمد بن علي الحمداني ، ومحمد بن حمدان بن محمد الحمداني ، ومحمد بن ظافر الحمداني ، ومحمد بن سليمان الحمداني ، ومحمد بن عمار ، والمظفر بن علي بن الحسين ، وناصر بن أبي طالب الحمداني ، وهبة الله بن حمدان بن محمد ، وترجم لهم في أمل الآمل . ( تاريخ الشيعة : الشيخ محمد حسين المظفر : 143 )

ومن المعاصرين : الشيخ جعفر بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي ، الملقب بالستري ، البحراني . عالم ، أديب ، ولد في العوامية من قرى البحرين ، ثم هاجر إلى النجف ، وله مؤلفات منها : جذوة الحق ، در الجوهر الفريد ، قصد السبيل ، وديوان شعر ( معجم المؤلفين : 3 / 137 ) توفي بعد سنة 1340 . ( الذريعة : 5 / 93 ) .

--------------------------- 91 ---------------------------

5 - من مشاهير نساء بني تغلب

1 : خولة بنت الهذيل بن هبيرة : تزوجها النبي ( صلى الله عليه وآله ) فجاؤوا بها إليه لكنها ماتت في الطريق . ( المحبر : محمد بن حبيب البغدادي : 93 )

2 : الصهباء بنت حبيب بن ربيعة : تزوجها أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، فأولد منها عُمر بن علي ورقية ، قيل كانت سبية من عين التمر . ( مناقب أمير المؤمنين : محمد بن سليمان الكوفي : 2 : 49 )

3 : بهجت بنت الحارث بن عبد الله التغلبي : روت عن خالها عبد الله بن منصور عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) في مقتل الحسين ( عليه السلام ) . ( أمالي الصدوق / 215 ) .

4 : جميلة بنت ناصر الدولة : اشتهرت بالكرم والعقل والجمال . لم تتزوج أنفة من أن يتحكم بها الزوج . ولما تغلب عضد الدولة البويهي على أخيها أمير الموصل ، فرت مع أخيها إلى الرملة ، فخرج عليهم دغفل بن مفرج أمير طئ فقتل أبا تغلب ، وحمل جميلة إلى عضد الدولة فألقاها في دجلة فماتت غرقاً . ( الأعلام : 2 / 139 )

--------------------------- 92 ---------------------------

5 : تقية بنت سيف الدولة : عالمة أديبة ، بعثت بعشرة آلاف دينار لينسخوا لها ديوان الشريف الرضي ( رحمه الله ) . ( الغدير : 4 / 200 ) .

6 - من موالي بني تغلب

من أبرز مواليهم : آل حيان التغلبي ، وهم بيت كبير في الكوفة يعملون بالصيرفة ، منهم : إسحق بن عمار بن حيان الصيرفي وإخوته : إسماعيل ، وقيس ، ويوسف ، ويونس . وأولادهم : محمد ، ويعقوب ابنا إسحق ، وبشر وعلي ابنا إسماعيل ، وعبد الرحمن بن بشر ، ومحمد بن يعقوب بن إسحاق ، وعلي بن محمد بن يعقوب . وأبوهم عمار بن حيان من أصحاب الحديث روى عن الصادق ( عليه السلام ) . وإسحق بن عمار ، وإسماعيل بن عمار ، ويونس بن عمار ، وبشر بن إسماعيل ، وأحمد بن بشر بن عمار ، وعبد الرحمن بن بشر ، كلهم من أصحاب الصادق ( عليه السلام ) . أما علي بن إسماعيل بن عمار ، فهو من أصحاب الكاظم ( عليه السلام ) . ( تاريخ الكوفة : البراقي : 455 )

وفي الفوائد الرجالية : 1 / 287 : « وإسحاق بن عمار بن حيان من المشاهير الأعيان ، وكان هو وأخوه إسماعيل وجهين موسرين .

--------------------------- 93 ---------------------------

كان أبو عبد الله ( عليه السلام ) إذا رأى إسحاق بن عمار وإسماعيل بن عمار قال : وقد يجمعهما لأقوام ! يعني الدنيا والآخرة . . .

وفي كامل الزيارة . . عن إسحاق بن عمار : أنه رأى في مشهد الحسين ( عليه السلام ) ليلة عرفة نحواً من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف رجل ، جميلة وجوههم شديد بياض ثيابهم ، يصلون الليل أجمع ، وأنه كان يريد أن يأتي القبر ويقبله ويدعو ، فلا يصل إليه من كثرة الخلق ، فلما طلع الفجر ورفع رأسه من السجود لم ير أحداً منهم . فحكى ذلك للصادق ( عليه السلام ) فقال : إنهم الملائكة الموكلون بقبر الحسين ( عليه السلام ) » .

\* \*

--------------------------- 94 ---------------------------

--------------------------- 95 ---------------------------

--------------------------- 96 ---------------------------

--------------------------- الغلاف 2 ---------------------------

هذه السلسلة . .

كثر في عصرنا إنكار البديهيات حتى احتجنا إلى إثبات أن العراق عرين القبائل العربية ، مع اليمن والحجاز ، سواء ! فقد أخذ مدعو العروبة والإسلام يشيعون في وسائل الإعلام العربية أن الشيعة في العراق من أصول إيرانية وليسوا عربا ، مع أن قبائل العراق كانت من مطلع الإسلام موالية لأهل بيت النبي ع ملتزمة بمذهبهم ، رافعة رايتهم في العالم ، وكانت وما زالت تدفع ضريبة ولائها لهم عليهم السلام .

وقد خصصنا كل كتيب بقبيلة ، لنقدم صورة عامة عنها وترجمة مختصرة لأبرز شخصياتها .

وتأمل ان يتيسر لنا أن نعضد ذلك بفيلم وثائقي ، يصور مشاهد عن كل قبيلة من مناطقها ، ومقابلات مع شخصياتها وجمهورها ، لتكون الحجة أبلغ ، وتعرف شعوبنا العربية ظلامة إخوانهم الشيعة في العراق ، وأن الإعلام الوهابي البعثي بغى عليهم وما زال يحاول تزوير التاريخ والحاضر معا ، لأغراض سياسية لا تمت إلى الإسلام والعروبة !